من
قصص الأنبياء
للأطفال

عبد العزيز الشناوى

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت: ٢٢٥٧٨٨٢/٠٥٠

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

رقم الإيداع : ١٩٩٦/٩٦٨١

مكتبة الإيمان بالمنصورة
أمام جامعة الأزهر
تليفون: ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾[1].

صدق الله العظيم

(١) سورة النساء الآية: ١٦٣.

نوح عليه السلام

قال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ **أول نبى أرسل نوح** (رواه ابن عساكر عن أنس).

أرسل الله عز وجل نوحا إلى بنى راسب مبشرا ونذيرا يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام فقالوا:

ـ **﴿لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾** [سورة نوح الآية: ٢٣]

كان ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر قوما صالحين بين آدم ونوح عليهما السلام، وكان لهم تبع يقتدون بهم، فلما مات ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، زين ابليس لهم أن يصوروا صورهم ليذكروا بها اجتهادهم، وليتسلوا بالنظر إليها، فصورهم، فلما ماتوا هم جاء اخرون قالوا:

ـ ليت شعرنا، هذه الصور ما كان أباؤنا يصنعون بها؟

فجاءهم ابليس اللعين فقال:

ـ كان أباؤكم يعبدونها فترحمهم وتسقيهم المطر

فعبدوها، فابتدىء عبادة الأصنام والأوثان من ذلك الوقت.

وقيل: إن نوحا عليه السلام، كان يحرس جسم آدم عليه السلام على جبل فى الهند، فيمنع الكافرين أن يطوفوا بقبره، فقال الشيطان لهم:

ـ إن هؤلاء يفخرون عليكم ويزعمون أنهم بنو آدم دونكم، وإنما هو جسد، وأنا أصور لكم مثله تطوفون به.

فصور لهم هذه الأصنام الخمسة وحملهم على عبادتها.

وكان نوح عليه السلام ابن خمسين سنة، وكان فصيح اللسان، واضح البيان، رزين العقل والرأى، بعيد الحلم، رزقه العليم الخبير صبرا

على الجدل، وقدرة على تصريف الحجج، دعا أهله فكذبته امرأته واغلة، وسخر منه ابنه كنعان، ودعا بنى راسب إلى الله فأعرضوا، وأنذرهم بالعقاب فعموا وصموا، ورغبهم فى الثواب فوضعوا أصابعهم فى آذانهم واستكبروا، ولكنه ناضلهم وجادلهم، ثم صابرهم وطاولهم ومد لهم حبل حلمه وأفرغ معسول كلماته، ولم يدع اليأس يسلك سبيلا إلى قلبه، بل أخذ يجاهد فى الدعوة وإبلاغ الرسالة، وكانت امرأته واغلة تخونه فى الدين فكانت إذا أوحى الله إلى نوح عليه السلام شيئا أفشته إلى قومها المشركين.

وظل نوح عليه السلام يناضل ويساجل ويقيم الحجج ويبسط البراهين لبنى راسب.. حتى آمنت معه طائفة قليلون استجابوا لدعوته وصدقوا برسالته، ولكن واغلة ظلت على عنادها لدعوة الخير هى وابنها كنعان.

وكان نوح أول من صام رمضان، وقد امتدحه العلى العظيم فقال: **﴿إنه كانَ عبداً شكُوراً﴾** [سورة الاسراء الآية: ٣]، فقد سمى نوح عليه السلام عبدا شكورا لأنه كان إذا أكل قال: الحمد لله الذى أطعمنى ولو شاء لأجاعنى، وإذا شرب قال: الحمد لله الذى سقانى ولو شاء لأظمأنى، وإذا اكتسى قال: الحمد لله الذى كسانى ولو شاء لأعرانى، وإذا احتذى قال: الحمد لله الذى حذانى ولو شاء لأحفانى، وإذا قضى حاجته قال: الحمد لله الذى أخرج عنى الأذى ولو شاء لحبسه فى.

واستعمل نوح عليه السلام مع بني راسب أسلوب الدعوة الناجح ولكنهم تكبروا وأصروا على الباطل وتمسكوا بالكفر فقال **﴿رب إنى دعوت قومى لَيلاً ونهَاراً*فلم يزدهُم دعَائى إلا فَراراً* وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعَلُوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استِكبَارا»** [سورة نوح الآية: ٥ـ٧]

لقد لبث أول رسول أرسل إلى جميع أهل الأرض فى بنى راسب ألف سنة إلا خمسين فلم يلق نبى من قومه ما لقى نوح من بنى راسب

فصبر على أذاهم وصمد لاستهزائهم، فذات يوم كان رجل من بنى راسب يحمل ولدا على كتفه فمر بنبى الله نوح عليه السلام فقال:

ـ احذر هذا فإنه يضلك

قال الولد الصغير لأبيه:

ـ يا أبت أنزلنى.

فأنزله، فرمى الولد نبى الله نوحا بحجر فشجه فحينئذ غضب ودعا عليهم.

وقيل: دعا نوح عليه السلام على قومه بعد أن أوحى الله عز وجل إليه **﴿أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾** [سورة هود الآية: ٣٦]

فاتخذ نوح عليه السلام مكانا بعيدا عن القرية وراح يعد الألواح والمسامير، ولكنه لم ينج من سخرية بنى راسب واستهزائهم فكلما مر عليه نفر قالوا:

ـ يا نوح صرت بعد النبوة نجارا؟ أزهدت في النبوة أو رغبت فى النجارة؟

لما أوحى الله عز وجل لنوح عليه السلام أن يصنع الفلك قال:

ـ يارب ما أنا بنجار.

قال الله تبارك وتعالى: بلى فإن ذلك بعينى.

فأخذ القادوم فجعله فى يده وجعلت يده تخطىء، فأوحى الله إليه أن يصنع الفلك كجؤجؤ الطائر ـ صدر الطائر ـ ، وكانت الملائكة تعلمه كيف يصنعها، فأتمها فى ثلاثين سنة.

وراحت واغلة تخبر سادات وأشراف بنى راسب بحزن زوجها لعدم إيمانهم بدعوته، وكانت لاتستطيع أن تخفى فرحها وسرورها لأحزان نبى الله نوح، ولم تكتفى بأنها تابعت بني راسب وسارت على دربهم درب الكفر، بل خانت أمانة الزوجية ومشت بالنميمة بين زوجها وقومها، فإذا

سألها بنو راسب عما آل إليه الأمر مع نوح عليه السلام قالت:

ـ لقد انتهى من صنع سفينته.

فقالوا في سخرية:

ـ هل ما زال يزعم أننا سنغرق بعذاب ربه، وأنه سينجو هو ومن اتبعه من الأراذل؟

قالت واغلة: ما زال يردد **﴿فسوف تعلمون من يأتيه عَذَابٌ يخزيه ويحل عليه عذَابٌ مقيم﴾** [سورة هود الآية: ٣٩].

حمل نوح عليه السلام من آمن معه من قومه في السفينة، وأخذ معه من كل زوجين اثنين وقال:

ـ **﴿اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربى لغفور رحيم﴾** [سورة هود الآية: ٤١]

فتحت أبواب السماء بالماء، وتفجرت عيون الأرض، وبلغ السيل الربى، وسارت السفينة، ونظر نوح عليه السلام إلى المؤمنين وهو حريص على نجاتهم معه فى السفينة، ورأى نوح ابنه كنعان يخوض اللجج، ويدافع الموج، ويحاول أن يعتصم بجبل ينجيه، أو ربوة تنقذه، وكان الغرق يقترب منه، فناداه نوح لعله يؤمن بعد أن رأى الآيات أمام عينيه والماء قد فتح طياته للكافرين قبورا، لقد رق له كبده ولانت له أعطاف رحمته وهاج موضع الاشفاق والحب فى قلبه فناداه:

ـ **﴿يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴾**[سورة هود الآية: ٤٢].

ولكن كنعان خسر الفانية والباقية وقال فى غرور واستكبار:

﴿سأوى إلى جبل يعصمنى من الماء﴾ [سورة هود الآية: ٤٢].

أشجى الهم قلب نوح عليه السلام وغلبه الوجد فقال:

ـ **﴿لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم﴾** [سورة هود الآية: ٤٢]

وغرقت واغلة، ورأى نوح عليه السلام فلذة كبده، وحشاشة قلبه تبتلعه الأمواج، فاختلج صدره حزنا وهما، واتجه إلي الرحمن الرحيم، ملجأ الملهوف، وغوث المكروب وقال:

ـ **﴿رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾** [سورة هود الآية: ٤٥]لقد وعد العزيز الحكيم ووعده الحق فأغرق كنعان، وواغلة،، والذين أشركوا وكفروا.. ونجى نبيه عليه السلام والذين آمنوا معه، فهو الذى حكم على قوم بالنجاة، وعلى قوم بالغرق، وقضى الأمر ونفذ القضاء، **﴿يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح﴾** [سورة هود الآية: ٤٦] أي ليس من أهلك الذين وعدتهم أن أنجيهم، فهو من أهل الكفر والتكذيب، ثم قال **﴿فلا تسألن ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين﴾** [سورة هود الآية: ٤٦]

أدرك نوح عليه السلام أن الشفقة والعاطفة غلبت عليه فسترت عنه الصواب فرجع إلى ربه مستغفرا طالبا الرحمة فقال:

ـ **﴿رب إنى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين﴾** [سورة هود الآية: ٤٧]

ارتجف نوح عليه السلام ارتجافة العبد المؤمن الذى يخشى أن يكون قد زل فى حق ربه فلجأ إليه واستعاذ به وطلب منه الغفران والرحمة.. فأدركته رحمته واطمأن قلب نوح عليه السلام، كفت السماء، وابتلعت الأرض الماء ورست السفينة على الجودى، **﴿وقيل بعدا للقوم الظالمين﴾** [سورة هود الآية: ٤٤]

لما هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة مر بأناس من يهود وقد صاموا يوم عاشوراء فسألهم إمام الخير ﷺ:

ـ ما هذا الصوم؟

قالوا: هذا اليوم الذى نجى الله فيه موسى وبنى اسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودى فصام نوح وموسى عليهما السلام شكرا لله عز وجل.

فقال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم

وصام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء، بل صام يوما قبله ـ يوم تاسوعاء ـ أو يوما بعده.

هود عليه السلام

كانت عاد تعيش بالأحقاف ما بين اليمن وعدن، وكان أهلها يعيشون فى سعة ورفاهية من العيش، ورغد من الحياة، وكانوا أهل بساتين وزروع فقد كانت بلادهم من أخصب البلاد، وأشادوا القصور، ومنحهم الله عز وجل فوق ذلك بسطة فى أجسامهم وقوة فى أبدانهم، وأتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين، ولكنهم لم يفكروا فى مبدأ هذا الخلق، ولم يحاولوا التعرف إلى مصدر هذه النعم، فقد اتخذوا أصناما آلهة يعبدونها ويتوجهون إليها بالشكر كلما وقعوا علي خير ويفزعون إليها بالاستنصار كلما لحق بهم شر وضرر، ثم أنهم بعد ذلك أفسدوا فى الأرض، فأذل القوى منهم الضعيف، وبطش الكبير منهم بالصغير، فأراد العزيز الحكيم هداية للأقوياء وتمكينا للضعفاء وتهذيبا للنفوس مما غطى عليها من الجهل أن يرسل إليهم رسولا من أنفسهم يحدثهم ويبين لهم سفاهة عبادتهم **﴿وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلّه غيره﴾** [سورة الأعراف الآية: ٦٥]

كان هود عليه السلام يرجو أن تصل كلماته إلى أعماق نفوسهم فيؤمنوا، أو تنفذ إلى عقولهم فيفكروا ويهتدوا، ولكنه رأى وجوها ساهمة وعيونا حائرة.. قالوا:

ـ ما هذا الذى تهذى به وتخوض فيه؟ كيف نعبد الله وحده من غير شركاء؟ إننا نعبد هذه الأصنام لتقربنا إليه وتشفع لنا عنده.

قال هود عليه السلام:

ـ **﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلّه غيره إن أنتم إلا مفترون* يا قوم لا أسألكم عليه أجرًا إن أجرى إلا على الذى فطرنى أفلا تعقلون* ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾** [سورة هود الآية: ٥٠ـ٥٢]

يا قوم إنما الله واحد لا شريك له وعبادته وحده هى جوهر العبادة، أما هذه الأصنام التى تعبدونها زلفى إليه وشفاعة عنده فهى تبعدكم عنه من حيث ظننتم أنكم إليه تقربون

فأعرضوا عنه وقالوا:

ـ ما أنت إلا سفيه طائش الحلم تسفه عبادتنا وتعيب ما وجدنا عليه آباءنا **﴿يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين﴾** [سورة هود الآية: ٥٣].

قال هود عليه السلام:

ـ **﴿يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين* أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين*أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم﴾** [سورة الأعراف الآية: ٦٦-٦٩].

قالوا:

ـ لا شك أن واحدا من آلهتنا قد مسك بسوء فاختل عقلك ودخل عليك فى تفكيرك فأصبحت تهذى بكلمات لا حقيقة لها إلا فى خلدك.

ولما رأى هود عليه السلام اعراضهم والعناد فى أحاديثهم والإصرار فى ثنايا قولهم قال لهم:

ـ إنى أشهد الله أننى قد بلغت وما قصرت، وجاهدت وما أحجمت، وسوف أستمر على هذا البلاغ وذاك الجهاد، ولاأبالى جمعكم، ولا أخاف بطشكم، إنى توكلت على الله ربى وربكم.

قالوا:

ـ **﴿فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾**[سورة الأعراف الآية: ٧٠].

طلبوا العذاب الذى خوفهم به هود عليه السلام وحذرهم منه

فقال هود عليه السلام:

ـ **﴿قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب﴾**[سورة الأعراف الآية:٧١].

وظل هود عليه السلام يدعو القوم ولكنهم كانوا معرضين، وبينما هم على هذا الحال رأوا سحابا أسود يعترض السماء، فتطلعوا إليه وخفوا إلى رؤيته سراعا وقالوا:

ـ هذا سحاب عارض سيمطرنا

ثم تهيأوا لاستقباله وأعدوا حقولهم لنزوله، ولكن هود عليه السلام قال لهم:

ـ ليس هذا سحاب رحمة، وإنما هو ريح نقمة، هو ما استعجلتم به، ريح فيها عذاب أليم.

وما راع القوم إلا أن رأوا حالهم ودوابهم التى فى الصحراء تحملها الريح العقيم على أجنحتها القوية وتقذف بها إلى مكان بعيد، فداخلهم الفزع، وأدركهم الهلع، وانطلقوا إلى بيوتهم يغلقونها عليهم ظنا أنهم بذلك ينجون ولكن البلاء كان عاما والخطب شاملا، وظلت الريح العقيم سبع ليال وثمانية أيام متتاليات، فأصبح القوم بعدها صرعى كأنهم أصول نخل خاوية ﴿**وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون**﴾ [سورة هود الآية: ١١٧].

﴿**نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا**﴾ [سورة هود الآية: ٥٨].

أما هود فقد آوى إليه صحبه ومن آمن به وظلوا بمكانهم تهزم حولهم الرياح وتسفى الرمال وهم آمنون مطمئنون برحمة الله، فلا أحد ينجو إلا برحمة الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: لن ينجى أحد منكم عمله.

قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟.

قال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه (رواه البخارى ومسلم).

ولما صفا الحال انتقل هود عليه السلام إلى حضرموت وقضى بها البقية الباقية من عمره.

صالح عليه السلام

هلكت عاد بذنوبها، فأورث الله عز وجل ثمود أرضهم وديارهم، فخلفوهم فيها، وعمروها أكثر مماعمروها، وفجروا العيون، وغرسوا الحدائق والبساتين، ونحتوا من الجبال بيوتا، وأصبحوا فى سعة من العيش، ورغد، ولكنهم لم يشكروا الله ولم يحمدوا له فضله، بل ازدادوا عتوا فى الأرض، وبعدا عن الحق، واستكبارا، وعبدوا الأوثان من دون الله، وأعرضوا عن آياته، وظنوا أنهم فى هذا النعيم خالدون وفى تلك السعة متروكون.

وبعث الله عز وجل إليهم صالحا عليه السلام ﴿ **وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربى قريب مجيب**﴾[1] كان صالح من أشرفهم نسبا وأوسعهم حلما وأصفاهم عقلا، فلما دعاهم إلى عبادة الله، وحضهم على توحيده، فهو الذى خلقهم من تراب، وعمر بهم الأرض، واستخلفهم فيها، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، ثم نهاهم أن يعبدوا الأصنام من دونه، فهى لا تملك لهم ضرا ولا نفعا، ولا تغنى عنهم من الله شيئا قالوا:

- يا صالح كنا نرجو أن تكون فينا سيدا قبل دعوتك النبوة ﴿**يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفى شك مما تدعونا إليه مريب**﴾ [2].

صمت منهم الآذان، وغلقت القلوب، وعميت الأبصار، وأنكروا عليه نبوته وهزئوا بدعوته، ولم يغضب حين رموه بالكذب والبهتان، وحذرهم مخالفته، وأعلن فيهم رسالته، وذكرهم بما أسبغ الله عليهم من نعمه ﴿**واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين**﴾ [3].

(١) هود الآية: ٦١. (٢) هود الآية: ٦٢. (٣) الأعراف الآية: ٧٤.

وخوفهم بأس الله عز وجل وبطشه، وبين لهم صالح عليه السلام أنه لا يقصد من وراء دعوته إلا الخير والنفع وأنه لا يطمع فى مغنم ولا يتطلع إلى رياسة ولا يطلب جزاء على النصيحة وإنما أجره على الله رب العالمين، فآمن به بعض المستضعفين من قومه، أما الملأ والأشراف من قومه فإنهم استكبروا وأصروا على عنادهم، وتمادوا فى طغيانهم، واستمسكوا بعبادة أوثانهم، وقالوا له:

ـ يا صالح جادلتنا فأكثرت جدالنا، فأتنا بمعجزة تكون دليلا علي صدق ما تقول، نريد برهانا يبين لنا أنك رسول من عند الله.

واقترحوا عليه أن يخرج لهم من صخرة صماء منفردة فى ناحية الحجر يقال لها الكاثبة، ناقة عشراء تمخض، فأخذ عليهم صالح عليه السلام العهود والمواثيق لئن أجابهم الله إلى سؤلهم وأجابهم إلى طلبهم ليؤمنن به وليتبعنه، فلما أعطوه عهودهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام إلى صلاته ودعا السميع المجيب فتحركت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء، يتحرك جنينها بين جنبها كما سألوا فقال صالح عليه السلام:

ـ **﴿هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب﴾** (1) فعند ذلك آمن رئيسهم جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره، وأراد بقية أشراف ثمود أن يؤمنوا فصدهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد الحباب ـ الحباب: اسم شيطان ـ صاحب وخادم أوثانهم

ورباب بن مصعر بن جليس، وكان شهاب بن محلاة بن لبيد بن حراس ابن عم جندع بن عمرو وكان من أشراف ثمود وأفاضلها، وأراد أن يتبع صالح عليه السلام فنهاه أولئك الرهط فأطاعهم، فقالوا للذين اتبعوا صالح عليه السلام:

ـ **﴿أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه﴾** [سورة الأعراف الآية: ٧٥].

---

(1) هود الآية: ٦٤.

قال الذين آمنوا: ﴿إنا بما أرسل به مؤمنون﴾[سورة الأعراف الآية: ٧٥].

قال الذين كذبوا صالحا عليه السلام: ﴿إنا بالذي آمنتم به كافرون﴾ [سورة الأعراف الآية: ٧٦].

وكانت ناقة الله وفصيلها بعد ما وضعته بين أظهرهم ﴿لها شرب ولكم شرب يوم معلوم﴾ [سورة الشعراء الآية: ١٥٥] تشرب من بئرها يوما وتدعه يوما، وكانوا يشربون لبنها يوم شربها ويحتلبون فيملأون من أوعيتهم وأوانيهم ﴿ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر﴾ [سورة القمر: ٢٨] وكانت الناقة ضخمة الجسم متميزة الشكل فأرهبت أنعامهم إذا مرت بها، فكرهوا لذلك مقامها بينهم، فكيف يكون لها وحدها شرب يوم لا تبقى لهم شيئا ولهم ولأنعامهم شرب يوم معلوم؟

وبقى القوم يدفعهم الشر، وتمنعهم الرهبة، لا يجرؤ أحدهم على ايذائها، ولا يتقدم واحد إلي مسها بسوء، وقام رجل عزيز عارم منيع فى رهطه يقال له قدار بن سالف، فطاف عليهم كلهم فكلمهم فلما رأى أنهم راضون بقتل الناقة ﴿فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر﴾ [سورة القمر الآية: ٢٩].

كمن قدار بن سالف للناقة فى أصل شجرة على طريقها فرماها بسهم، فانتظم به عضلة ساقها، ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها، فخرت ورغت رغاءة واحدة تحدر سقبها من بطنها ثم نحرها، وانطلق سقبها - فصيلها - حتى أتى صخرة فى رأس الجبل فرغا ثم لاذ بها.

فأتاهم صالح عليه السلام، فلما رأى الناقة قد عقرت بكى وقال:

- ﴿يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة﴾؟ [سورة النمل الآية: ٤٦]، قد انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله.

قالوا: ﴿يا صالح ائتنا بما تعدنا به إن كنت من المرسلين﴾ [سورة الأعراف الآية: ٧٧].

فقال صالح عليه السلام:

- قد حذرتكم إن أصبتموها بأذى، أو مسستموها بسوء، ولكنكم قد

ارتكبتم الذنب، واقترفتم الاثم، فتمتعوا فى داركم ثلاثة أيام، يأتيكم بعدها العذاب، ويحل عليكم فى نهايتها العقاب.

﴿فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب﴾ [سورة هود الآية: ٦٥].

واجتمع نفر من قوم صالح عليه السلام، وتقاسموا على أن يتسللوا إليه تحت جنح الظلام ويفاجئوه وأهله والناس نيام، فيوقعوا بهم غير أن يراهم أحد، فأجمعوا أمرهم بينهم علي أن يكون سرا مكتوما، وأضمروا له ولأهله القتل، ظنا منهم أن ذلك يعصمهم من العذاب، وينجيهم من عقاب ذى القوة المتين، ولكن السميع البصير لم يمهلهم، بل أحبط مكرهم **﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين﴾** [سورة الأعراف الآية: ٧٨].

عقروا الناقة يوم الأربعاء، وأقاموا فى ديارهم يوم الخميس والجمعة والسبت وأتاهم العذاب يوم الأحد، فقد اصفرت ألوانهم فى اليوم الأول، ثم احمرت فى اليوم الثانى، ثم اسودت فى الثالث، وأخذتهم الرجفة أى الزلزلة الشديدة وصيحة شديدة خلعت قلوبهم فأصبحوا جاثمين لاصقين بالأرض على ركبهم ووجوههم كما يجثو الطائر، وصاروا خامدين من شدة العذاب.

ولما رأى صالح عليه السلام ومن تبعه ما حل بقومهم قال: **﴿ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين﴾** [سورة الأعراف الآية: ٧٩].

إبراهيم عليه السلام

لما بعث الله عز وجل ابراهيم بن تارخ - آزر - إلى أهل بابل الذين كانوا ينحتون الأصنام بأيديهم وصنعوها على أعينهم ثم جعلوها آلهة يعبدونها، أراد ابراهيم عليه السلام أن يبدأ بأبيه فهو أقرب الناس إليه وألصقهم به وأولاهم بالهداية وأجدرهم بإخلاص النصيحة فمن البر أن يهديه سواء السبيل، وكان آزر يصنع الأصنام ليبيعها لأهل حران الذين كانوا يعبدون الكواكب والأصنام ويعملون لها أعيادا، قال إبراهيم عليه السلام لأبيه في أدب:

- **﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا* يا أبت إني قد جاءني من العلم مالم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا*يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا* يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا﴾** [سورة مريم الآية: ٤٢-٤٥]

فهل قبل تارخ بن ناحور الرشد الذي عرضه عليه ابنه في أدب ولطف؟ هل قبل النصيحة؟ قال:

- **﴿أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا﴾** [سورة مريم الآية: ٤٦] رفض آزر النصيحة وهدد ابنه بالرجم ورماه بالقول الفاحش وحذره غضبه وطرده من بيته، ولكن ابراهيم عليه السلام قابل غلظة أبيه بصدر رحب وقال له بنفس مطمئنة:

- **﴿سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا﴾** [سورة مريم الآية: ٤٧]

خاب ظن ورجاء ابراهيم عليه السلام حين أنكر أبوه دعوته وأصر على كفره وعناده وتبرأ منه، ولكن ابراهيم عليه السلام قرر متابعة دعوته إلى الحق ليمحو عقائد أهل بابل الفاسدة فدعاهم إلى عبادة الواحد

الأحد ونبذ عبادة الأصنام فسخروا منه، ففكر إبراهيم عليه السلام فى استدراجهم إلى مجادلته ويستنزلهم إلى مجال محاورته، ووجدها فرصة حين خرجوا إلى عيدهم وقد تركوا بيت أصنامهم خاليا منهم، فدخل ابراهيم عليه السلام ومعه فأس فانهال بها عليهم بالقوة والعدل والطاعة فكسرها حتى جعلها جذاذا.

ولما رجع أهل بابل من عيدهم ودخلوا بيت عبادتهم رأوا ما حل بآلهتهم ومعبوداتهم فتساءلوا:

ـ ﴿**من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين**﴾ [سورة الأنبياء الآية: ٥٩].

ما زالوا يصرون على أنها آلهة؟ لو كانت آلهة لماذا لم تدفع عن نفسها السوء؟ قال رجل:

ـ ﴿**سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم**﴾ [سورة الأنبياء الآية: ٦٠].

فقالوا: من عاب علينا عبادتها وسبها فهو ظالم مجترىء عليها، إن هذا الظالم ابراهيم بن تارخ.

فلما بلغ الخبر الملك النمرود بن كنعان وأشراف قومه كرهوا أن يأخذوا ابن وزيرهم بغير بينة فقالوا:

ـ ﴿**فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون**﴾[سورة الأنبياء الآية: ٦١].

ليشهد عليهم الناس بمقالته ويروا ما يحل به من القصاص، وكان اجتماع الناس فى صعيد واحد أمنية ابراهيم عليه السلام، ليقيم لهم الحجة جميعا على بطلان ما يعتقدون ويريهم البرهان القاطع على فساد معتقداتهم وماهم عليه عاكفون.

جاءوا بإبراهيم عليه السلام وسط جمع زاخر وسألوه:

ـ ﴿**أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم**﴾ ؟ [سورة الأنبياء: ٦٢].

كانوا يتوقعون رده بالنفى أو بالإيجاب.. ولكنه أدار دفة الحديث ناحية أخرى فسأل:

ـ ﴿**بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون**﴾ [سورة الأنبياء

الآية: ٦٣] أدركتهم الحيرة، فأطرقوا برءوسهم مفكرين ثم قالوا:

- لقد علمت يا ابراهيم أنها لا ترد سؤالا ولا تحير جوابا، فكيف تأمرنا بسؤالها وتطلب إلينا الاستشهاد بها؟ اقروا بعجزها عن سماعهم؟ واعترفوا بقصورها عند العلم بما يجري حولها؟ وأنها لا تستطيع أن ترد كيد المعتدين؟ فأخذ ابراهيم عليه السلام يبكتهم على جهلهم، ويتأفف من تمسكهم بالباطل بعد وضوح الحق.. ثم قال:

- ﴿**أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم ولا يضركم* أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون**﴾ [سورة الأنبياء الآية: ٦٦-٦٧]

نظر النمرود بن كنعان إلى وزيره آزر ثم صوب بصره نحو ابراهيم عليه السلام وقال:

- ما هذا الآله الذى تدعو إليه؟ هل تعرف ربا غيرى؟ وآلها يستحق العبادة دونى؟ من إلهك الذى تحث الناس على عبادته؟

قال ابراهيم عليه السلام فى ثبات جنان وطلاقة لسان: ﴿**ربى الذي يحيى ويميت**﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨].

فأجاب النمرود بن كنعان فى استخفاف: ﴿**أنا أحى وأميت**﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨]

أأراد النمرود بن كنعان أن يقول: إنى أوتى بالرجلين قد استحقا القتل فآمر بقتل أحدهما فيقتل، وآمر بالعفو عن الآخر فلا يقتل فأنا أحييته؟

قال ابراهيم عليه السلام:

﴿**إن ربى يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب**﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٥٨]

إن العلى القدير قد جعل للشمس نظاما لا تحيد عنه، فهى تشرق من المشرق، فإن كنت إلها قادرا حقا كما تدعى فغير هذا النظام وأت بها من المغرب؟

عجب النمرود بن كنعان ودهش وتغير وكأنه ألقم حجرا، أفحمته

حجة نبى الله؟ ظهر كذبه ووضح بهتانه؟ بدت جهالته أمام قومه؟

خاف النمرود أن يكتسح إبراهيم ملكه، ويقوض أركان عرشه، فقال:

- ﴿حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين﴾ [سورة الأنبياء الآية: ٦٨].

فجمعوا من الحطب أكواما، وجروا إبراهيم عليه السلام مربوطا إلى وسطها، ثم أضرموا النار، فاتقدت والتهبت، وتصاعدت ألسنتها حتي بلغت عنان السماء، وأرادوا بخليل الرحمن كيدا، فرد الله عز وجل كيدهم إلى نحورهم، ووقى خليله عليه السلام، إذ قال للنار ﴿يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم﴾ [سورة الأنبياء الآية: ٦٩].

فخرج نبى الله عليه السلام من آتون النار الملتهب سليما معافى ليس به ضرر ولا أذى، آية من آيات الحق. وبهر الناس بتلك الآية الكبرى حتى أوشكوا أن يسلموا زمامهم لخليل الرحمن، ولكن كثيرا منهم آثر ما ينعم فيه من نعم الحياة وخشى بطش النمرود بن كنعان.

وخرج إبراهيم عليه السلام من حران مهاجر إلى ربه، وخرج معه زوجه سارة بنت عمه هاران الأكبر وابن أخيه لوط، فذهبوا إلي الشام، حتى مشى إلى مصر ومعه امرأته سارة، فلم علم فرعون مصر بجمالها أراد أن يحظى بها فلما ذهبت إليه منعها الله ورد كيده إلى نحره. فتركها وأعطاها هاجر المصرية لتخدمها.

وكانت سارة عقيما فلما رأت رغبة إبراهيم عليه السلام فى النسل والذرية، عرضت عليه الزواج من هاجر فتزوجها فرزقه الله اسماعيل.

ودبت عقارب الغيرة فى صدر سارة عندما رأت اسماعيل يحبو بجوار أمه هاجر فقالت لإبراهيم عليه السلام:

- لا تساكنى هاجر فى بلد.

فأوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام أن يحمل هاجر وإسماعيل وأن يأتى مكة، فلما جاء أم القرى ترك هاجر وابنها وعاد إلى

زوجه سارة.

وأحس اسماعيل بالعطش فطلب الماء فراحت هاجر تبحث عن الماء فى هذا المكان الموحش فضرب اسماعيل بقدمه فى الأرض فتفجرت بئر زمزم.

ورزق الله سارة مولودا سماه خليل الرحمن إسحاق.

وذات يوم أقبل خليل الرحمن يتهلل وجهه بشرا فقال لهاجر:

- أبشرى يا أم إسماعيل، لقد أمرنى الله أن أبنى بيتا وأمرنى أن يعيننى إسماعيل عليه.

ففرحت هاجر ليكون لابنها شرف بناء بيت الله الذى جعله الله مثابة للناس، وخرج إبراهيم عليه السلام يبحث عن ابنه اسماعيل فوجده وراء بئر زمزم يصلح نبلا فقال له:

- يا اسماعيل إن ربك أمرنى أن أبنى له بيتا.

قال اسماعيل: فأطع ربك.

قال إبراهيم عليه السلام: لقد أمرنى أن تعيننى عليه.

ففرح اسماعيل الذى تلقى الحكمة في صحف أبيه ابراهيم.. فقال فى غبطة:

- إذا أفعل.

﴿ **واذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت**﴾ [سورة الحج الآية: ٣٦].

ورفع إبراهيم البيت هو وإسماعيل حتى انتهيا إلى موضع الركن فقال إبراهيم عليه السلام:

- يا إسماعيل ابغ لى حجرا أجعله علما للناس

فجاء إسماعيل بحجر.. فلم يرضه خليل الرحمن

وقال: يا بنى ابغ لى حجرا غير هذا.

فذهب إسماعيل يتلمس له حجرا، فجاءه وقد أتى بالركن، فوجده

قد ركب الحجر الأسود فى مكانه فقال:

ـ يا أبت من أتاك بهذا الحجر؟

قال خليل الرحمن:

ـ أتانى به من لم يتكل على بنائك، أتانى به جبريل من السماء.

فلما ارتفع البنيان، وضعف الشيخ عن رفع الحجارة، قام إبراهيم عليه السلام على حجر ـ مقام إبراهيم ـ فجعل إسماعيل يناوله ويقولان:

ـ تقبل منا إنك أنت السميع العليم.

ولما انتهى خليل الرحمن وابنه اسماعيل من بناء البيت الذى أمره الله عز وجل ببنائه أمره **﴿وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾** [سورة الحج الآية: ٣٧]

فقال إبراهيم عليه السلام: يارب وما يبلغ صوتى؟

قال الله عز وجل:

ـ أذن وعلى البلاغ

فقال إبراهيم عليه السلام: يارب كيف أقول؟

قال تبارك وتعالى: قل لبيك اللهم لبيك

فقال إبراهيم: ألا إن ربكم قد اتخذ بيتا وأمركم أن تحجوه

فسمعه ما بين السماء والأرض ـ ما سمعه شىء من حجر أو أكمة أو تراب فأجيب: لبيك اللهم لبيك ـ فلما أذن خليل الرحمن بالحج أجابه من آمن وأقبلوا من مشارق الأرض ومغاربها يقولون:ـ لبيك اللهم لبيك

قال المبعوث رحمة للعالمين ﷺ:

ـ إن جبريل هو الذى كان يرى إبراهيم المناسك إذا حج

قال تعالى: **﴿وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك**

للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين﴾ [سورة البقرة الآية: ١٢٤]

ولما وفى خليل الرحمن ما أمره به ربه من التكاليف العظيمة، جعله للناس إماما يقتدون به ويأتمون بهديه، وسأل الله أن تكون هذه الامامة متصلة بسببه، وباقية فى نسبه، وخالدة فى عقبه، فأجيب إلى ما سأل وسلمت إليه بزمام، واستثنى من نيلها الظالمون، واختص بها من ذريته العلماء العاملون **﴿ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب﴾** [سورة الحديد الآية: ٢٦]

فكل كتاب نزل من السماء على نبى من الأنبياء بعد إبراهيم الخليل فمن ذريته وشيعته، وهذه خلعة سنية لا تضاهى، ومنزلة علية لا تباهى.

قال ﷺ:

- إن فى الجنة قصرا - أحسبه قال من لؤلؤة - ليس فيه فصم ولا هى أعده الله لخليله إبراهيم عليه السلام نزلا (رواه البزار عن أبى هريرة).

شعيب عليه السلام

كان أهل مدين عربا يسكنون أرض معان من أطراف الشام، وكانوا يكفرون بالله، ويشركون به، إذ عبدوا الأيكة وهى غيضة تنبت ناعم الشجر من دون الله، وصاروا يبخسون الناس أشياءهم، كانوا إذا اشتروا استوفوا بكيل راجح، وإذا باعوا بخسوا المكيال والميزان **﴿الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون* وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾** [سورة المطففين الآية: ٢، ٣].

فبعث الله إليهم شعيبا رسولا، وأيده بالمعجزات، وآزره بالبينات، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، وأمرهم بالعدل، وحذرهم عاقبة الظلم، وذكرهم نعم الله عليهم، إذ كثرهم بعد قلة، وأغناهم بعد فقر، ثم خوفهم نقمة الله وعذابه إن لم يتبعوا ما أرشدهم إليه.

ولكنهم كانوا يقعدون على الطرقات المفضية إلى شعيب عليه السلام فيتوعدون من أراد المجيء إليه ويصدونه ويقولون:

ـ انه كاذب فلا تذهب إليه.

فقال لهم شعيب عليه السلام **﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن وتبغونها عوجا﴾**[سورة الأعراف الآية: ٨٥].

ثم راح يذكرهم بنعم الله وفضله فقد كانوا قليلا فكثر عددهم **﴿واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم﴾** أو كثركم بالغنى بعد الفقر، أو كنتم فقراء فأغناكم، ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه إنه تواب رحيم.

فاستهزءوا بقوله، وسخروا منه، وتهكموا به وقالوا:

ـ **﴿يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد أباؤنا أو نفعل فى أموالنا ما نشاء﴾** [سورة هود الآية: ٨٧] ولكن شعيبا لم تبد منه جفوة

أو قسوة، بل تلطف فى جدالهم، وآثر استمالتهم باللين، وذكرهم بما بينه وبينهم من صلة فذلك أدعى لقبول النصح والانصياع إلى الرأى وأدل على الرغبة فى الخير ولكنهم عادوا فقالوا:

- **﴿يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا نراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز﴾** [سورة هود: ٩١]

انك تحملنا على أمور غائبة من البعث والنشور وتعظنا بما لا عهد لنا بمثله، ولولا ضعف بصرك وضعف بدنك ولولا أهلك وعشيرتك لقتلناك بالرجم. قال شعيب عليه السلام:

- **﴿يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربى بما تعملون محيط﴾** [سورة هود الآية: ٩٢]

ودأب شعيب عليه السلام على الدعوة إلى الله، فوجد من بعض القوم آذانا صاغية، وقلوبا واعية، وآمن به نفر قليل، فملأ الخوف قلوب أهل مدين أن يعظم أمر شعيب عليه السلام، ويشتد ساعده، وينتشر دينه، وتكثر جماعته فتوعدوه ومن آمن معه أن يخرجوهم من قريتهم إن لم يبرأوا من دينهم ويعودوا إلى ملتهم، لكن شعيبا قال لهم:

- **﴿أو لو كنا كارهين * قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴾** سورة الأعراف الآية: ٨٨ـ ٨٩.

ولما يئس شعيب عليه السلام من هداية أهل مدين إلى الحق، وتبين اصرارهم على الكفر، استنصر ربه عليهم **﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين﴾** سورة هود الآية: ٩٤.

استجاب السميع البصير دعاء نبيه عليه السلام، فآزره بنصره، وابتلاهم بالحر الشديد، فكان لا يروى ظمأهم ماء، ولا تمنعهم ظلال، ولا تقيهم الأسراب والمنازل، ففروا هاربين، وخرجوا من ديارهم،

ولكنهم فروا من قضاء الله وقدره إلى قضاء الله وقدره، فقد رأوا سحابة فظنوا أنها ستقيهم من وهج الشمس، وأنها ستدفع عنهم الحر، فاجتمعوا تحتها ليستظلوا بظلها، حتى إذا تكامل عددهم وتألف جمعهم، رمتهم بشرر وشهب، وجاءتهم صيحة من السماء، فزلزلت الأرض تحت أقدامهم، ففزعوا لهول ما رأوا، فهلكت نفوسهم.

رأى شعيب عليه السلام ما حل بقومه، فأعرض عنهم، يثقله الحزن على ما أصابهم، ولكنه ذكر كفرهم بالله وتسفيههم لرأيه، واستهزائهم بمن آمن بالله، ومخالفتهم نصيحته، فخفف ذلك من حزنه وقال:

- ﴿**يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين**﴾ سورة الأعراف الآية: ٩٣.

إسماعيل عليه السلام

إسماعيل بكر خليل الرحمن من هاجر القبطية المصرية عليهما السلام من العظيم الجليل، ويقال لإسماعيل الذبيح - أمر إبراهيم عليه السلام بذبح ولده البكر الوحيد وقد ادعى اليهود أن الذبيح اسحاق بن إبراهيم عليهما السلام وقد غيروا إسم إسماعيل بإسحاق كراهة بالعرب كراهة أن يكون الفضل فى غيرهم وهذه عادتهم وقد كان إسماعيل أسن من إسحاق بثلاث عشرة سنة - وتربى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام مع أمه هاجر فى مكة بين رجال جرهم والعماليق فتعلم اللغة العربية.

يقول رسول الله ﷺ:

- **«أول من فتق لسانه بالعربية البينة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة»** (رواه الشيرازى فى الألقاب عن على).

وكان الذبيح أول من استأنس الخيل وركبها فقد كانت قبل ذلك وحوشا.

قال أبو القاسم ﷺ:

- اتخذوا الخيل واعتقبوها - اركبوها - فإنها ميراث أبيكم إسماعيل.

ولما شب إسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام تزوج بعمارة بنت سعدبن أسامة بن أكيل العماليقى..

وماتت أم إسماعيل فجاء أبو الأنبياء عليه السلام يطالع تركته - يتفقد حال تركته - فلم يجد الذبيح فى داره فسأل عمارة بنت سعد بن أسامة بن أكيل العماليقى عن زوجها فقالت:

- خرج يبتغى لنا - يصيد لنا -.

فسألها أبو الأنبياء عليه السلام عن عيشتهم وهيأتهم فقالت:

- نحن بشر نحن فى ضيق وشدة.

وشكت إلى أبى الضيفان عليه السلام فقال:

- فإذا جاء زوجك اقرئى عليه السلام وقولى له: يغير عتبة بابه - كناية عن طلاق امرأته -

ولما رجع إسماعيل من صيده كأنه أنس شيئا فقال:

- هل جاءكم من أحد؟

قالت عمارة بنت سعد:

- نعم جاءنا شيخ كذا وكذا - وصفته له - فسأل عنك فأخبرته فسألنى كيف عيشنا؟ فأخبرته إنا فى جهد وشدة.

فقال الذبيح:

- فهل أوصاك بشىء؟

قالت عمارة بنت سعد:

- نعم أمرنى أن أقرأ عليك السلام ويقول: غير عتبة بابك.

فقال إسماعيل عليه السلام:

- ذلك أبى وقد أمرنى أن أفارقك إلحقى بأهلك

فطلقها...

وكما مدح القرآن العظيم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وهو غلام فقال تعالى ﴿**وبشرناه بغلام حليم**﴾[1] فقد وصفه بالحلم وقد وصفه تبارك وتعالى فى محكم كتابه بعد ذلك بصدق الوعد فقال عز وجل ﴿**واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا**﴾[2].

لقد وعد الذبيح رجلا أن يلقاه فى موضع فجاء إسماعيل عليه السلام وانتظر الرجل يومه وليلته فلما كان اليوم الآخر جاء فقال له:

- مازلت هاهنا فى انتظارك منذ أمس.

(١) الصافات الآية: ١٠١. (٢) مريم الآية: ٥٥.

وقيل أن الذبيح قال له:

- يا فتى لقد شققت على أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك (رواه أبو داود)

وقيل: إن إسماعيل عليه السلام انتظر الرجل اثنين وعشرين يوما (رواه الماوردى).

وقيل: إن إسماعيل عليه السلام لم يعد شيئا إلا وفَّى به وقد أرسل الذبيح عليه السلام إلى جرهم وكل الأنبياء كانوا إذا وعدوا صدقوا وخص العزيز الحكيم إسماعيل عليه السلام بالذكر تشريفا له

وتزوج نبى الله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى ولبث أبو الأنبياء عليه السلام عند ابنه إسحاق فى الشام بعيدا عن ابنه إسماعيل عليه السلام ما شاء الله - قدر مشيئة الله تعالى - ثم انطلق إلى مكة فطرق باب دار إسماعيل فدخل على امرأته السيدة بنت مضاض فسأل عنه:- أين إسماعيل؟

قالت السيدة بنت مضاض:

- ذهب يصيد لنا.

فقال أبو الضيفان عليه السلام:

- وكيف أنتم؟

قالت السيدة بنت مضاض:

- نحن بخير وسعة.. ألا تنزل فتطعم وتشرب؟

فتساءل أبو الأنبياء عليه السلام:

- وما طعامكم وما شرابكم؟

قالت السيدة بنت مضاض:

- طعامنا اللحم وشرابنا الماء.

فرفع خليل الرحمن يديه إلى السماء وقال:

- اللهم بارك لهم فى طعامهم وشرابهم.

يقول رسول الله ﷺ:

- «**ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم دعا لهم فيه** - لتعمه البركة بدعائه بركة دعوة إبراهيم -

قال خليل الرحمن عليه السلام:

- فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام - أبلغيه سلامى - ومريه يثبت عتبة بابه.

فلما جاء إسماعيل عليه السلام تساءل:

- هل أتاكم من أحد؟

قالت السيدة بنت مضاض:

- نعم أتانا شيخ حسن الهيئة - وأثنت عليه - فسألنى عنك فأخبرته أنا بخير.

قال إسماعيل عليه السلام:

- فأوصاك بشيء؟

قالت السيدة بنت مضاض بن عمرو:

- نعم يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك

فقال إسماعيل عليه السلام:

- ذاك أبى وأنت العتبة أمرنى أن أمسكك.

وولدت السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى لإسماعيل عليه السلام اثنى عشر ولدا ذكراوهم: نابت، وقيذر، وأزيل، وميشى، ومسمع، وماش، ودوصا، وأرر، ويطور، ونبش، وطيسما، وقيذما..

وقد ذكرهم أهل الكتاب هكذا فى كتابهم وعندهم أنهم الإثنا عشر عظيما المبشر بهم.

وظل الذبيح عليه السلام رسولا إلى أهل تلك الناحية وما والاها من

قبائل جرهم والعماليق وأهل اليمن **﴿وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا﴾**[1] أى كان يأمر أمته - أهله جرهم وولده - بالصلاة والزكاة وكان عند ربه راضيا زاكيا صالحا.

وشكا إسماعيل عليه السلام إلى ربه عز وجل حر مكة فأوحى إليه:

- إنى سأفتح لك بابا إلى الجنة إلى الموضع الذى تدفن فيه يجرى عليك روحها - نسيمها - إلى يوم القيامة.

ولما مرض خليل الرحمن عليه السلام كان يعيش عند امرأته سارة بنت هاران فى مزرعة عقرون الحيثى ولما مات دفنه ابناه إسماعيل وإسحاق عليهما السلام وقد عاش أبو الأنبياء مائتى سنة.

وكان الذبيح عليه السلام أول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة.

ولما ماتت السيدة بنت مضاض بن عمرو تزوج الذبيح عليه السلام بثالثة..

ولما حضرت إسماعيل عليه السلام الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق عليه السلام وزوج ابنته نسمة من ابن أخيه العيص بن إسحاق فولدت له الروم - بنو الأصفر لصفرة كانت بالعيص - وولدت له اليونان.

ودفن الذبيح عليه السلام بجانب أمه هاجر فى الحجر، قال رسول الله ﷺ:

- **«إن قبر إسماعيل فى الحجر»** (رواه الحاكم فى الكني عن عائشة).

وعرب الحجاز كلهم ينتسبون إلى ولديه: نابت وقذر، وقال رسول الله ﷺ:

- **«كل العرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم»** (رواه ابن سعد عن على بن رباح مرسلا).

---

(١) مريم الآية: ٥٥.

أيوب عليه السلام

كان نبى الله أيوب بن موصى بن زراح من نسل إبراهيم الخليل عليهما السلام، وكانت امرأته رحمه بنت منشأ بن يوسف بن يعقوب عليهما السلام، وكان أيوب عليه السلام رجلا كثير المال والأنعام والعبيد والأراضى المتسعة بأرض البثينة من أرض حوران، وكان له أولاد وأهلون كثير، فسلب من ذلك جميعه وابتلى فى جسده بأنواع البلاء، فكان أول من أصابه الجدرى، فلم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه الذاكرلله. عز وجل بهما، وكان يذكر الله تعالى فى ليله ونهاره وفى صباحه ومسائه وظل أيوب عليه السلام ثمانية عشرعاما مصابا بالجدرى حتى تساقط لحمه، ولم يبق إلا العظم والعصب حتى أن المثل ليضرب بصبره وبما حمل له من أنواع البلايا.

وكانت زوجته رحمه بنت منشأ تأته بالرماد تفرشه تحته، فعافاه ـ كرهه ـ الجليس وأوحش منه الأنيس، وأخرج أيوب عليه السلام من بلده وألقى على مزبلة خارجها، وانقطع عنه الناس، ولم يبق أحد يحنو عليه سوى امرأته التى كانت ترعى له حقه وتعرف قديم إحسانه إليها، كانت تتردد إليه فتصلح من شأنه وتعينه على قضاء حاجته وتقوم بمصلحته.

وضعف حال رحمه بنت منشأ امرأة أيوب عليه السلام، وقل مالها، حتى كانت تخدم الناس بالأجر لتطعم زوجها، وتقوم بأوده، وهى صابرة معه على ما حل بهما من فراق المال والولد، وما يختص بها من المصيبة بالزوج، وضيق ذات اليد، وخدمة الناس بعد السعادة والنعمة، فلما طال الأمر قالت رحمه بنت منشأ لأيوب عليه السلام:

ـ يا أيوب لو دعوت ربك لفرج عنك.

قال أيوب عليه السلام:

ـ قد عشت سبعين سنة صحيحا، فهو قليل لله أن أصبر سبعين سنة؟

فجزعت رحمه بنت منشأ من هذا الكلام.

ولما علم الناس أنها زوجة أيوب عليه السلام، خافوا أن ينالهم من بلائه أو تعديهم بمخالطته فطردوها، ولم تجد أحدا يستخدمها، فباعت لبعض بنات الأشراف احدى ضفيرتيها بطعام طيب كثير أتت به أيوب عليه السلام فسألها:

- من أين لك هذا ؟

قالت رحمه بنت منشأ:

- خدمت به أناسا

فلما كان الغد لم تجد أحدا يستخدمها، فباعت الضفيرة الأخرى بطعام أتت به أيوب عليه السلام فقال:

- والله لا أكل حتى تخبريني من أين لك هذا؟

فكشفت عن رأسها خمارها، فلما رأى رأسها محلوقا قال:

- ﴿رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين﴾[سورة الأنبياء:٨٣].

وكان لأيوب عليه السلام أخوان، فجاء يوما فلم يستطعا أن يقتربا منه من ريحه، فقاما من بعيد فقال أحدهما لصاحبه:

- لو كان الله علم من أيوب خيرا ما إبتلاه بهذا؟

فجزع أيوب عليه السلام من قولهما جزعا لم يجزع مثله من شيء قط فقال:

- اللهم إن كنت تعلم أنى لم أبت ليلة قط شبعانا وأنا أعلم مكان جائع فصدقنى

فصدق من السماء وهما يسمعان، ثم قال:

- اللهم إن كنت تعلم أنى لم يكن لى قميصان قط وأنا أعلم مكان عار فصدقنى.

فصدق من السماء وهما يسمعان، ثم قال:

ـ اللهم بعزتك،

وخر ساجدا

ولقى إبليس اللعين رحمه بنت منشأ فى صورة طبيب، فدعته لمداواة أيوب عليه السلام فقال زعيم أهل النار:

ـ أداويه على أنه إذا برئ قال: أنت شفيتنى، لا أريد جزاء سواه.

قالت امرأة أيوب عليه السلام: نعم.

فأشارت على أيوب بذلك، وكان مازال ساجدا، فرفع رأسه وحلف ليضربن امرأته مائة جلدة ثم قال:

ـ ويحك ذلك الشيطان.

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ:

ـ قال الله عز وجل لأيوب: أتدرى ما كان جرمك إلى حتى ابتليتك؟

قال: لا يا رب.

قال: لأنك دخلت على فرعون فادهنت بكلمتين (رواه الديلمى فى مسند الفردوس وابن النجار عن عقبة بن عامر).

ولما أراد الشافى الذى يقول للشىء كن فيكون شفاء نبيه أيوب عليه السلام بعد أن صبر على البلاء ثمانى عشرة سنة قال ﴿**اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب**﴾ سورة ص الآية: ٤٢.

فاغتسل أيوب عليه السلام من عينين فى أرض الشام يقال لها الجابية ـ وقيل: لما ركض أيوب عليه السلام نبعت عين ماء اغتسل به ـ فأذهب الله عز وجل ظاهر دائه وأعاد العزيز الحكيم لحمه وشعره وبشرته على أحسن ما كان، ثم شرب من الأخرى فأذهب الله عز وجل باطن دائه وذهب كل ما كان فى جوفه من ألم وضعف، وألبسه الله حلة من الجنة، فتنحى أيوب وجلس فى ناحية، فجاءت امرأته فلم تعرفه فقالت:

ـ يا عبد الله، أين ذهب هذا المبتلى الذى كان هنا؟ لعل الكلاب

ذهبت به أو الذئاب؟.

وجعلت تكلمه ساعة، فقال:

- ويحك أنا أيوب

قالت رحمه بنت منشأ:

- أتسخر منى يا عبد الله؟

قال أيوب عليه السلام:

- ويحك أنا أيوب رد الله على جسدى.

وأمسك بها ليضربها مائة سوط فأوحى إليه اللطيف الرحيم **﴿وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب﴾** سورة ص الآية: ٤٤.

فكانت رخصة من الله عز وجل لعبده ورسوله أيوب عليه السلام فيما كان حلفه ليضربن امرأته مائة جلدة، فأخذ أيوب عليه السلام ضغثا وهو كالعثكال الذى يجمع الشماريخ - عرجون النخيل الذى يحمل الرطب - فيجمعها كلها ويضربها به مرة واحده فيكون الضرب مائة سوط ويبر ولا يحنث فى حلفه.

ورد الله عليه ماله وولده بأعيانهم ومثلهم معهم.

قال الصحابى الجليل أبو هريرة:

- قال رسول الله ﷺ: « **لما عافى الله أيوب عليه السلام أمطر عليه جرادا من ذهب، فجعل يأخذ بيده ويجعل فى ثوبه، فقيل له: يا أيوب أما تشبع؟ قال: يا رب ومن يشبع من رحمتك؟** » (رواه الحاكم فى المستدرك عن أبى هريرة).

ولما توفى أيوب عليه السلام كان عمره ثلاثا وتسعين سنة.

وقيل: إنه عاش أكثر من ذلك.

موسى عليه السلام

لما أرسل يوسف عليه السلام يدعو إليه أباه يعقوب - إسرائيل - بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام وأهل بيته، وفد بنو إسرائيل إلى مصر ونزلوا بها، وراح اليهود يتغلغلون فى ربوع مصر، ويستولون على منابع ثرواتها، وما تصرمت ثلاثمائة سنة حتى امتلأت مصر ببنى إسرائيل، وأصبحت الثروات فى أيديهم ورأى فرعون مصر أن اليهود صاروا سادتها، فالأرض أصبحت ملك يمينهم، والصناعات تحت سيطرتهم، والأموال تتسرب من جيوب قبط مصر إلى خزائنهم، فأوجس فرعون مصر خيفة من اشتداد شوكتهم، إنهم غرباء عن البلاد، ولو نشبت حرب بين فرعون وبين أعدائه لم لا ينضم بنو إسرائيل إليهم؟ لو انتظر قليلا لم لا يسلبوه مقاليد الحكم والسلطان؟ ماذا ينتظر؟.

فكر فرعون، ورأى أن يجرد اليهود من أملاكهم، وإن يصادر أموالهم، وأن يسومهم سوء العذاب، **﴿إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم إنه كان من المفسدين﴾** سورة القصص الآية: ٤.

وبغى فرعون وطغى واستعبد بنى إسرائيل

فبعث الله عز وجل موسى وأخاه هارون عليهما السلام إلى فرعون **﴿فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين * أن أرسل معنا بنى إسرائيل﴾** سورة الشعراء الآية: ١٦، ١٧.

فانطلق كليم الله وأخوه عليهما السلام إلى فرعون، فسألهما:

- من أنتما؟

قال موسى وهارون عليهما السلام:

- **﴿إنا رسول رب العالمين﴾**.

فقال فرعون: ﴿**وما رب العالمين**﴾؟ سورة الشعراء الآية: ٢٣.

قال كليم الله: ﴿**رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين**﴾ سورة الشعراء الآية: ٢٤.

لقد أتى موسى عليه السلام بالصفات الدالة على الله من مخلوقاته التى لا يشاركه فيها مخلوق، وكان القوم يعتقدون أن فرعون ربهم ومعبودهم والفراعنة قبله كذلك، فقال فرعون فى إغراء وتعجب من سفه ما قاله موسى عليه السلام:

- ﴿**ألا تسمعون**﴾؟ سورة الشعراء الآية: ٢٥.

فأضاف كليم الله فى البيان:

- ﴿**ربكم ورب آبائكم الأولين**﴾ سورة الشعراء الآية: ٢٦.

لقد جاء موسى عليه السلام بدليل يفهمونه عنه، لأنهم يعلمون أنه قد كان لهم أباء وأنهم قد فنوا، وأنه لابد لهم من مغير، وأنهم قد كانوا بعد أن لم يكونوا، وأنهم لابد لهم من مكون.

وقف فرعون ورفع ذراعيه وقال لمن حوله:

- ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾ سورة النازعات الآية: ٣٤.

ثم تلفت حوله وأشار بسبابته وقال:

- ﴿**يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى**﴾ سورة القصص الآية: ٣٨

فقال الحاضرون: أنت رب الأرباب

فقال فرعون:

-﴿**ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد**﴾ سورة غافر الآية: ٢٩.

ثم أضاف قائلا:

- ﴿**إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون**﴾ سورة الشعراء الآية: ٢٧

قال كليم الله:

ـ ﴿**رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون**﴾ سورة الشعراء الآية: ٢٨.

ليس ملك الملوك كملكك يا فرعون،لأنك إنما تملك بلدا واحدا لا يجوز أمرك فى غيره، ويموت من لا تحب أن يموت، ولكن الذى أرسلنى يملك المشرق والمغرب.

فعاد فرعون إلى الإستعلاء والغطرسة والوعيد فقال:

﴿**لئن اتخذت إلّها غيرى لأجعلنك من المسجونين**﴾ سورة الشعراء الآية: ٢٩.

لقد لجأ فرعون إلى أسلوب الطغاة عندما يسقط فى أيديهم وتخذلهم البراهين، فليس السجن عليه ببعيد، وسجن فرعون أشد من القتل، كان إذا سجن أحدا لم يخرج منه حتى يموت.

قال كليم الله: ﴿**أولو جئتك بشىء مبين**﴾؟ سورة الشعراء الآية: ٣٠.

هل إذا جئتك ببرهان واضح على صدق رسالتى فإنك تجعلنى من المسجونين؟ فقال فرعون:

ـ ﴿**فأت به إن كنت من الصادقين**﴾ سورة الشعراء الآية: ٣١.

هل كان فرعون يشك فى موسى عليه السلام؟ أم كان يخشى أن تترك حجة كليم الله فى نفوس القوم شيئا؟

وكان عصى موسى عليه السلام فى يده، فألقاها فإذا هى ثعبان مبين تدب فيه الحياة، وأخرج يده من جيب قميصه فإذا هى بيضاء كالقمر، لقد كشف موسى عليه السلام عن معجزتيه الماديتين، لقد أخرهما حتى بلغ التحدى من فرعون مداه، فلما أحس فرعون بضخامة المعجزة وقوتها، أسرع يقومها ويتصدى لها بكل ما أوتى من قوة فقال:

ـ هذا ساحر عليم،يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فما رأيكم؟.

هل هناك إله يتواضع لعباده؟ ويطلب مشورتهم؟ قالوا:

- أمهله وأخاه وابعث فى أرجاء البلاد يأتوك بكل ساحر عليم.

وأعلن فرعون أنه سيقابل سحر موسى عليه السلام بسحر مثله، وواعده يوم الزينة ضحى، وجاء السحرة وألقوا حبالهم وعصيهم، فسحروا أعين الناس، لقد جاءوا بسحر عظيم من التمويه وخفة اليد، وخيل لموسى عليه السلام أن الحبال والعصى صارت حيات على الأرض تسعى، فأوحى الله عز وجل إلى كليمه **﴿لا تخف إنك أنت الأعلى﴾** فهدأت نفس موسى عليه السلام، وألقى عصاه، فإذا هى من أعظم الحيات، فلما فتحت فاها صار شدقاها ثمانين ذراعا واضعة فكها الأسفل على الأرض وفكها الأعلى على سور قصر فرعون، وقصدت فرعون لتبتلعه، فوثب من سريره فزعا، وفرهامان وزيره واستغاث فرعون بموسى عليه السلام، وراحت الحية العظيمة تبتلع بسرعة ما ألقى السحرة من حبال وعصى، وأدرك السحرة الحقيقية الرائعة، وتبينوا الرشد من الضلال والحق من الخيال، فخروا ساجدين، وأعلنوا إيمانهم برب موسى وهارون، فهددهم فرعون واتهمهم بالتواطئ مع موسى وأخيه عليهما السلام ورماهم بالخيانة، **﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين﴾** سورة الأعراف الآية: ١٢٤، كانوا يعلمون أن عذابا وحشيا ينتظرهم من طاغية جبار، ولكنهم قالوا فى ثبات وإيمان:

-**﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾** سورة الأعراف الآية: ١٢٥.

فأمر فرعون وزيره هامان، فأخذ السحرة فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم فى جذوع النخل على شاطىء النهر.

قال هامان والملأ من قوم فرعون:

- أيها الاله: أتترك موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض وقد رفضوا أن يعبدوك؟

قال فرعون: **﴿ذرونى أقتل موسى﴾** سورة غافر الآية: ٢٦.

قال فرعون: اتركوني.. دعوا موسى لا تقتلوه أنتم، بل أنا الذى سأتولى قتله.

هل تقدم أحد ليقتل موسى عليه السلام ومنعه فرعون؟ هل خرج فرعون ليقتل موسى واعترضه أحد؟ هل أراد أن يظهر للناس أنه قادر على ما عجزت عليه السحرة مجتمعين؟.

ولما علم موسى عليه السلام أن فرعون خلص إلى ملأ من قومه وائتمروا ليقتلوه، فالتمس موسى عليه السلام وبنو إسرائيل الفرار من مصر، ولما علم الوليد بن مصعب فرعون مصر بخروج بنى إسرائيل وموسى عليه السلام، هاج وماج، واستشاط غضبا، وأرسل سريعا فى بلاده لتلحقه الجند والعساكر، فجاءوا وخرج فرعون فى محفل عظيم وجمع كبير، وجعل وزيره هامان فى مقدمتهم.

وقف بنو إسرائيل أمام بحر لجى، واستولى عليهم الخوف والجزع، لقد لحق جيش فرعون بهم عند شروق الشمس، فقالوا فى يأس:

-﴿ **إنا لمدركون**﴾ سورة الشعراء الآية: ٦١.

فقال كليم الله فى لهجة الواثق من وعد ربه:

- ﴿**كلا إن معى ربى سيهدين**﴾ سورة الشعراء الآية: ٦٢.

وضرب موسى عليه السلام البحر بعصاه فانفلق بإذن الله ﴿**فكان كل فرق كالطود العظيم**﴾ سورة الشعراء الآية: ٩٣ أى كالجبل العظيم، فقام الماء على حيله كالحيطان، وذهبت الظلمات، وانحسرت طاغيات اليأس، وإذا اثنا عشر طريقا لاثنى عشر سبطا ـ السبط: الفريق من اليهود ـ لكل سبط طريق، وإذا الشمس والريح يهيئهما الله عز وجل فتجفف قاع البحر وتمهد السبيل فتصير يبسا ﴿**فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسالا تخاف دركا ولا تخشى**﴾ سورة طه الآية: ٧٧،وكان كل سبط يرى عن يمينه وعن شماله، وانسابوا يهرعون إلى بر الأمان والسلام، واستشرف كليم الله وبنو اسرائيل بعيونهم فأبصروا فرعون وجنوده يتأهبون ليسلكوا

مسالك بنى إسرائيل فى البحر ليلحقوا بهم، فينزلوا بهم أشد العذاب، فانخلعت قلوب بنى إسرائيل، وتطلعت عيونهم إلى كليم الله ليدعو ربه حتى يكشف عنهم هذا البلاء المحدق، الذى يكاد يدهمهم من حيث لا يشعرون، وهم موسى عليه السلام أن يدعو البحر فيرجع إلى حاله حتى يحول بينهم وبين فرعون وجنوده، وليكون حاجزا عنهم ذلك البلاء والبطش الذى يلاحقهم أينما كانوا ولكن السميع البصير أوحى إلى نبيه عليه السلام:

ـ أن أترك البحر ساكنا على حاله فلا تضربه بعصاك، لأن الله يريد أن يجعل البحر حائلا بينك وبينهم فيرجعوا إلى ديارهم سالمين، بل سبقت كلمة الله إلى هؤلاء.

اقترب فرعون وجنوده من البحر، فرأى الماء قد قام على جانبى كل طريق كالجبل العظيم، فقال فرعون لأصحابه:

ـ ألا ترون البحر قد فرق منى وانفتح لى حتى أدرك أعدائى؟

واندفع فرعون وجنوده إلى مسالك البحر، وراحوا يحثون خيلهم فى طلب بنى إسرائيل، ولكن لم يكادوا يصلون إلى وسط البحر حتى انطبق البحر عليه، فأغرقوا ﴿**ثم أغرقنا الآخرين**﴾ سورة الصافات الآية: ٨٢.

يوسف عليه السلام

كان يوسف مقربا محبوبا عند أبيه يعقوب عليهما السلام، وكان أخوته يلحظون ذلك فى العطف الزائد وفى المعاملة فيحقدون عليه ويقولون:

- **﴿ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفى ضلال مبين﴾** سورة يوسف الآية:٨ وكانوا يعنون بنيامين فهو أخو يوسف لأمه، فقد كانا ابنى راحيل.

وذات ليلة رأى يوسف فى منامه حلما عجيبا **﴿إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين﴾** سورة يوسف الآية: ٤.

فلجأ إلى أبيه يعقوب عليه السلام وسأله عن رموز ذلك الحلم، فاحتضنه الأب الحنون وقال له:

- **﴿يا بنى لا تقصص رؤياك على أخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين * وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم﴾** سورة يوسف الآية: ٥ـ ٦.

وقام يعقوب عليه السلام إلى ركن الحجرة فوجد صندوقا، ففتحه واستخرج منه قميصا أخضر اللون حريرى الملمس، وطلب من يوسف أن يرتديه تحت ثيابه، وحذره أن يخلعه.

وأصبح يوسف غلاما وضىء الطلعة، مليح الهيئة، قال رسول الله ﷺ:- **«أعطى يوسف شطر الحسن»** (رواه ابن أبى شيبة والإمام أحمد عن أنس).

وقال الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ:

- «**إن كانت الحامل لترى يوسف فتضع حملها**» (رواه الديلمى عن أبى أمامة).

وهيج الشيطان كوامن الشر فى صدور أبناء يعقوب، فقرروا أن يغدروا بيوسف ويأخذوه معهم للنزهة فى البرية وهم يضمرون له الشر، فانفرد يعقوب عليه السلام بابنه يوسف وقال له:

- لما حطم أبوك إبراهيم أصنام المشركين، علق الفأس التى حطم الأوثان بها فى رقبة كبيرهم فلما سألوه ﴿**أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم**﴾؟ قال: ﴿ **بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون**﴾ [سورة الأنبياء الآية: ٦٣]، ثم أجمعوا أمرهم أن يحرقوه، فجمعوا من الحطب أكواما وجروا إبراهيم مربوطا إلى وسطها، ثم أضرموا النار، وأرادوا بأبيك كيدا فكانوا هم الأخسرين، إذ قال ﴿**يا نار كونى بردا وسلامى علي إبراهيم**﴾ سورة الأنبياء الآية: ٦٩، فتعطلت خصيصة الاحراق فى النار، عطلها من أودعها فيها، وهو الله سبحانه وتعالى، لقد كان والدك إبراهيم يا بنى يرتدى هذا القميص الذى ترتديه الآن.

وحرص يوسف على القميص حرصه على نفسه وذاته، فهوارث من أبى الأنبياء إبراهيم بن تارخ عليه السلام، وأى ارث؟.

وطلب أبناء يعقوب عليه السلام من أبيهم أن يصحبوا أخاهم يوسف معهم ليلعب ويرتع، ولما ذهب معهم، ألقوه فى غيابة الجب وظلامه، فأوحى الله إليه أن تجمل بالصبر واعتصم بالعزاء فإنى جاعل لك من ضيقك مخرجا ، ومن همك فرجا، وإنى مظهرك على إخوتك ولكن بعد حين، فذهبت همومه ورجعت إليه نفسه، وإنتظر يرقب أمر الله.

وأتت قافلة وجلست بجانب البئر، ثم ألقى أحدهم دلوه فى البئر لينزع لهم ماء يشربون منه، فتعلق يوسف بالدلو، فلما رأوا غلاما متعلقا بالحبل وجهه كفلقة القمر قالوا:

ـ ﴿**يا بشرى هذا غلام**﴾ سورة يوسف الآية: ١٩.

اشترى صاحب الدلو يوسف من أخوته بدراهم معدودة، وحمله معه إلى مصر فعرضه فى سوق الرقيق وهو الحر الأبى الكريم، وباعه لقطفير بن روحيب عزيز مصر بأربعين درهما.

وأخذه عزيز مصر ووزيرها الأكبر فتوسم فيه معدنا كريما وعرقا طيبا فقال لامرأته زليخا:

ـ ﴿**أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا**﴾[سورة يوسف الآية: ٢١].

وانصرف يوسف إلى العمل فى بيت رئيس شرطة مصر والذى كان على خزائنها، يعمل فى جد وأمانة، وكان يوسف كالبدر ليلة التمام عندما خلع ثوب الحداثة وأظله ربيع العمر، فشغل زليخا أمره، ﴿**وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك**﴾ [سورة يوسف الآية: ٢٣].

وصرف الله عز وجل كيدها عنه وفرهاربا، ولكن عزيز مصر شاهدها وهى تطارد يوسف، فزعمت أنه كان يراودها عن نفسها، ولما ظهر كذبها ووضح الحق، قال عزيز مصر لامرأته:

ـ ﴿**إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم**﴾[سورة يوسف الآية: ٢٨].

وألقى يوسف فى السجن مظلوما، لم تنصفه كلمة القضاء، فأسلم نفسه يرجو عدل السماء، واستقبل محنته الجديدة بقلب الصابرين وعزم المؤمنين، لقد كان السجن نجاة من الفتنة التى قصد بها عيبه والنيل منه ومن دينه، ووجد يوسف فى السجن قوما مظلومين، فكانت فرصة طيبة وسانحة ليواسيهم فى آلامهم ويشاركهم فى محنتهم، فكان ذلك أروح لنفسه الرضية وأنسب لطبعه الكريم، لقد وعده الله عز وجل بالنبوة ومناه بالرسالة، فأى شىء وأى شرف يعلو هذه المنزلة؟ وأى عزيطاول هذا المقدار؟.

وأخبر يوسف من حوله من المسجونين أنه يعبر ويفسر الأحلام، فروى له فتيان أحدهما كان صاحب طعام الملك الريان بن الوليد بن ثروان والآخر صاحب شرابه رؤيا، فأولها وفسرها لهم يوسف، ثم قال يوسف عليه السلام:

- ﴿**يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار* ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان**﴾ [سورة يوسف الآية: ٣٩، ٤٠].

بلغ يوسف عليه السلام الرسالة، وأدى الأمانة، وأعلي عقيدة الوحدانية، وشد الناس إليها، وبين لهم ضلال ما يعبدون هم وأباؤهم من آلهة أرضية صنعتها أيديهم.

وصح تأويل يوسف ونجا ساقى الملك، وصلب خباز الملك وصاحب طعامه، ورأى الريان بن الوليد رؤيا أهمته وأفزعته وأزعجت طائر الإطمئنان في صدره ﴿**إنى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات**﴾ [سورة يوسف الآية: ٤٣].

وعجز كبار الكهنة وكبار مملكة الملك عن تعبير هذه الرؤيا وتفسير ذلك الحلم وقالوا:

- خيالات ورؤيا لا يصلح تأويلها لاختلاطها، ولو كانت رؤيا صحيحة لأولناها.

ولكن ساقى الملك تذكر يوسف عليه السلام فقال:

- أيها الملك إن بالسجن فتى كريما صائب الفكر، ملهم الرأى، يكشف ودائع الغيوب بنور عقله، تعرض عليه الرؤيا فيفسرها ويجليها، ولو أرسلتنى إليه لجئتك بالخبر اليقين.

فقال الملك: اذهب إليه.

قال ساقى الملك: ﴿**يوسف أيها الصديق أفتنافى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع إلى**

الناس لعلهم يعلمون﴾ [سورة يوسف الآية: ٤٦].

قال يوسف عليه السلام:

- إنكم تستقبلون سبع سنوات لينة رخاء، تكونون فى أخصب تربة، تزدهر حقولكم وتزيد غلاتكم، وتطيب لكم الحياة، ثم تأتى فى أعقابها سبع سنوات شداد فلا تجدون قائما يحصد، ولا حصيدا يخزن - يعنى السنين المجدبات - ثم بعد ذلك تصالحكم الأيام ويقبل عليكم الزمان ويظلكم عام خصيب ينزل المطر فيصلح ما فسد من أموركم فتعصرون العنب خمرا والسمسم دهنا والزيتون زيتا، وتحلبون.

ثم أردف يوسف عليه السلام:

- وإذا كان ما أخبرت واقعا لا محالة، فما حصدتم فى سنيكم الرخاء فاخزنوه فى المخازن ودوركم مصونا فى سنبله، حتى يظل سليما، إلا ما تحتاجون إليه مما يقيم أودكم، ويحفظ حياتكم لتتقوا السبع الشداد والسنين العجاف.

ولما عاد ساقى الملك إلى الريان بن الوليد وأخبره بهذا التفسير فطن لذلك النصح والتدبير وأدرك أن وراء هذا عقلا حصيفا وفكراملهما فقال للساقى:

- **﴿ائتونى به أستخلصه لنفسى﴾** [سورة يوسف الآية: ٥٤].

فلما جاء قال له الملك: **﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾**[سورة يوسف الآية: ٥٤].

قال يوسف عليه السلام:

- **﴿إجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم﴾**[سورة يوسف الآية: ٥٥].

لقد مكن العزيز الحكيم ليوسف عليه السلام فى الأرض فأضحى بين عشية وضحاها وزيرا مطلق اليد، مسموع الكلمة، نافذ السلطان، وقد

كان بالأمس سجينا.

ومات أظفير عزيز مصر، فزوج الملك يوسف عليه السلام زليخا فوجدها عذراء، فولدت له: أفرأيم بن يوسف، ومنشأ بن يوسف.

وذاع ذكر يوسف فى مصر وامتد وعم اسمه إلى الأصقاع، وشاع بين الناس أن بمصر وزيرا حكيما يحمل بين جنبيه نفسا كريمة، قد أعد عدته للقحط والجدب والجوع، فلم يدق لأهل مصر عظما، ولم يأكل منهم لحما، وامتد القحط إلى ما جاور مصر من البلدان، فقال يعقوب عليه السلام لبنيه:

- يا بنى إن الجدب عمنا، والقحط يكاد يأتى علينا، فهلم شدوا ركائبكم واقصدوا هذا العزيز الذى حملت إلينا الركبان أخباره وتناقل الناس أحاديثه وعم اسمه السهل والجبل والبد والحضر.

واستأذن الحاجب على يوسف عليه السلام فقال:

- إن بالباب عشرة رجال تتشابه وجوههم التى يلتمع نور الصلاح فيهم، وكأنهم غرباء عن الديار، يستأذون فى الدخول عليك، والمثول بين يديك

فأذن لهم يوسف **﴿وجاء أخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون﴾**[سورة يوسف الآية:٥٨] فأواهم وأكرم وفادتهم، وأحسن ضيافتهم، ثم سألهم:

- لقد أكرمتكم، ومن حقى أن أسألكم، وأتعرف أحوالكم، فمن أنتم؟ وما شأنكم؟

قالوا: أيها العزيز، نحن اثنا عشر أخا سلالة نبى كريم، ورسول عظيم، عشرة منهم رسله الآن بين يديك، وأما الحادى عشر فقد خلفناه عند أبيه يقوم على أمره ويسهر على رعايته، وأما الثانى عشر فقد فقدناه ولا ندرى أخباره، هل مات؟ هل يضرب فى الأرض الواسعة؟

قال يوسف عليه السلام:

ـ إنى سأجهزكم بجهازكم، على أن تعودوا إلى ومعكم أخوكم الذى خلفتموه عند أبيكم، ليكون شهيدا عليكم، مصدقا لأقوالكم، وسأضعف إكرامهم، وأزيدكم حمل بعير فى غلاتكم **﴿فإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون﴾** [سورة يوسف الآية: ٦٠].

قالوا: يا أيها العزيز ما نظن أن أبانا يأذن بسفره، أو يصبر على فراقه، ولكننا سنراوده عنه ونتلطف إليه وإنا لفاعلون.

وجاءوا بأخيهم بنيامين، فأجلسهم يوسف مثنى مثنى، فبكى بنيامين وقال:

ـ لو كان أخى يوسف حيا لجلس معى.

فأجلسه معه يوسف على مائدته ثم قال:

ـ لينزلن كل اثنين منكم بيتا، وهذا لاثانى له، فيكون معى.

فبات بنيامين عند يوسف عليه السلام فقال له:

ـ أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟

قال بنيامين: من يجد أخا مثلك؟ ولكن لم يلدك يعقوب ولا رحيل.

فبكى يوسف عليه السلام، وقام إليه وعانقه وقال:

ـ **أنا أخوك الذى تنشده، وتهتف باسمه، وتتلهف لرؤيته﴿إنى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون﴾** سورة يوسف الآية: ٦٩.

وقرت عين بنيامين وسكنت أحزانه، وغدا يتقلب فى نعيم أخيه يوسف عليه السلام، وانقضت أيام الضيافة، وعزم أبناء يعقوب عليه السلام على الرحيل، فعمل لهم يوسف مكرا، فبينما الركب يهم بالرحيل **﴿أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون﴾**[سورة يوسف الآية: ٧٠].

قال أبناء يعقوب عليه السلام:

ـ **﴿ماذا تفقدون﴾**؟ [سورة يوسف الآية: ٧١].

قالوا: لقد فقدنا صواع الملك ـ الصواع: الذى يكال به ـ وإنا لنشك أن تكونوا قد سرقتموه، وأخفيتموه.

ووجد الصواع المسروق فى رحل بنيامين فقال يوسف عليه السلام:

ـ دعوا هذا الذى وجدنا عنده الصواع، نتحكم فيه ونأخذ حقنا منه.

فقال أبناء يعقوب عليه السلام:

ـ **﴿إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾** [سورة يوسف الآية: ٧٧].

يعنون بذلك يوسف فقد سرق صنما لجده أبى أمه راحيل فكسره وألقاه فى الطريق، فكان أخوته يعيبونه بذلك ورموه بالسرقة **﴿فأسرها يوسف فى نفسه﴾** [سورة يوسف الآية: ٧٧].

ولما رجع أبناء يعقوب عليه السلام وأخبروه الخبر قال:

ـ **﴿بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتينى بهم جميعا﴾**[سورة يوسف الآية: ٨٣]، فقد كان يعقوب عليه السلام يعنى عودة يوسف وبنيامين ويهوذا المتخلف من أجل أخيه وهو الذى قال:

﴿لن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى﴾ [سورة يوسف الآية: ٨٠].

قيل ليوسف الصديق عليه السلام:

ـ مالك تصوم كثيرا وأنت بيدك خزائن الأرض؟

قال الكريم ابن الكريم:

ـ أخاف أن أشبع فأنسى الجائع.

وهبط أبناء يعقوب عليه السلام مرة ثالثة مصر فقالوا فى ذلة وانكسار:

ـ يا أيها العزيز هاقد رجعنا إليك فقد أوردتنا الأيام لنقف موقف الضراعة والاستكانة بين يديك، فالحال رقيق، والعيش نكد، فإن شئت تصدقت بما يقيم الأود، ويصلح معوج العود.

فأعلن يوسف عليه السلام عن نفسه لأخوته، وكشف لهم عن

حاله، فقالوا فى عجب:

- **﴿أإنك لأنت يوسف﴾**؟ [سورة يوسف الآية: ٩٠].

قال يوسف عليه السلام:

- **﴿أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا﴾** سورة يوسف الآية: ٩٠

قالوا: لقد فضلك الله علينا، واختارك بالعلم والحلم والحكمة والعقل والملك وإن كنا مذنبين.

قال يوسف عليه السلام:

- لا تعيير ولا توبيخ ولا لوم عليكم اليوم **﴿يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾**[سورة يوسف الآية: ٩٢]، وكان يوسف عليه السلام مازال حريصا على القميص الحريرى الأخضر الذى أعطاه أبوه إياه فقال لأخوته:

- **﴿اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأتى بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين﴾** [سورة يوسف الآية: ٩٣].

فقد كان يوسف عليه السلام أعلم بالله من أن يعلم أن قميصه يرد على يعقوب عليه السلام بصره، ولكن ذلك قميص إبراهيم عليه السلام الذى ألبسه الله فى النار من حرير الجنة، وكان كساء إسحاق بن إبراهيم، كساه يعقوب، فحمل يهوذا بن يعقوب القميص وانطلق إلى الشام.

ذهب يعقوب عليه السلام إلى مصلاه يوما، فصلى وذكر الله، ثم بكى ما شاء الله أن يبكى، وفجأة هدأت نفسه وجفت ضلوعه ودخلت الراحة على قلبه، وأحس بانشراح فى أعماق صدره، وإرتياح فى قرارة وجدانه وصاح بملء قلبه وجوارحه **﴿إنى لأجد ريح يوسف﴾**[سورة يوسف الآية: ٩٤].

وما كان يعقوب عليه السلام خاطئا فى وهمه، ولا بعيدا فى استرواحه، فقد فصلت العير عن مصر تحمل القميص الذى يحمل

البشرى، ويرد على يعقوب عليه السلام نعمة البصر والحياة.

وعادت العير إلى الشام، وجاء البشير فألقى القميص على يعقوب عليه السلام، فإذا بصره قد عاد، ورشده قد ثاب، وقصوا عليه قصتهم، وحدثوه بما كان من أمرهم فقال يعقوب عليه السلام:

- ﴿**ألم أقل لكم إنى أعلم من الله ما لا تعلمون**﴾؟[سورة يوسف الآية: ٩٦].

قالوا: ﴿**يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين**﴾[سورة يوسف الآية: ٩٧.

قال يعقوب عليه السلام:

- لست أملك من أمركم شيئا، أو أستطيع لكم من عذاب الله دفعا، ولكنى أستغفر لكم ربى وهو الغفور الرحيم.

وطلب يعقوب عليه السلام من امرأته وأبنائه أن يتهيأوا للرحيل إلى مصر فقال:

- زموا - أعدوا للسفر - إبلكم وأجمعوا ارادتكم وهيا بنا إلى ساحة العزيز.

ولما اقترب يعقوب عليه السلام من مصر، أخبر يوسف عليه السلام بذلك، فخرج يتلقاه وركب معه أهل مصر فقد كانوا يعظمونه، ونظر يوسف عليه السلام إلى أبيه وقال:

- ﴿**ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين**﴾ [سورة يوسف الآية: ٩٩].

ورأى يوسف عليه السلام أبويه فى ساحته وحولهما أحد عشر من أخوته والجميع يسجدون له معظمين ويقفون بين يديه خاشعين، فرفع يديه إلى السماء شاكرا أنعمه وذاكرا فضله، ورفع أبويه إلى العرش وقال ﴿**رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين**﴾ [سورة يوسف الآية: ١٠١].

يحيى بن زكريا

كانت مريم بنت عمران تصلى فى المحراب عندما دخل عليها زكريا زوج خالتها يحمل لها الطعام والشراب وتعجب عندما رأى عندها فاكهة، إنها فاكهة الشتاء وهى فى وقت الصيف، فاقترب منها وسألها:

ـ يا مريم من أين لك هذا؟

أجابت ﴿هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾[سورة آل عمران الآية: ٣٧].

عند ذلك تحركت فى نفس زكريا الشيخ الذى لم يوهب ذرية تلك الرغبة الفطرية القوية فى النفس البشرية فى الذرية والحنين إلى الولد والرغبة فى البنين، وبعيدا عن أعين بنى إسرائيل وفى عزلة خلص زكريا بناحية فبسط يديه متوسلا وهمس بصوته داعيا:

ـ﴿رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين﴾[سورة الأنبياء الآية: ٨٩].

كان نبى الله عليه السلام أكرم على الله من أن يرد دعوته وأعز عليه من أن يخيب رجاءه، فلم يمكث زكريا عليه السلام طويلا حتى نادته الملائكة وهو قائم فى المحراب:

ـ﴿ يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا﴾ [سورة مريم الآية: ٧].

يقول عبد الله بن عباس:

ـ كان زكريا عليه السلام يوم بشر ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله ﴿وامرأتى عاقرا﴾[سورة آل عمران الآية: ٤٠]، أى عقيم لا تلد.

ورزق الله عز وجل نبيه زكريا بيحيى سيد يسود قومه وينتهى إلى

قوله، وسيد فى العلم والعبادة، والسيد الكريم الذى لا يغلبه الغضب، والسيد الذى يفوق أقرانه فى كل شيء من الخير، وحصور أى لا يأتى النساء كأنه محجم عنهن ونبى من الصالحين.

وبعد ستة أشهر ولدت مريم بنت عمران عيسى عليه السلام، فكان يحيى أكبر من ابن خالته بنصف عام، وعلم السميع البصير يحيى بن زكريا الكتاب ـ التوارة ـ والحكمة وهو صغير **﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾** [سورة مريم الآية: ١٢]، بقوة أى بجد واجتهاد.

ولما كان يحيى بن زكريا ابن سنتين أو ثلاث سنيين، قال الغلمان له:

ـ اذهب بنا نلعب.

قال يحيى بن زكريا: ما للعب خلقت

يقول عبد الله بن عمر:

ـ قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ: « **كل ابن آدم يأتى يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا**» (رواه ابن عساكر عن عمرو بن العاص).

وقال الصادق المصدوق ﷺ: « **خلق الله يحيى بن زكريا فى بطن أمه مؤمنا وخلق فرعون فى بطن أمه كافرا**» (رواه ابن عدى فى الكامل، الطبرانى فى الكبير عن عبد الله بن مسعود).

وقال خاتم الأنبياء ﷺ: «**لا ينبغى لأحد أن يقول: أنا خير من يحيى بن زكريا ما هم بخطيئة ولا جالت فى صدره امرأة**» (رواه ابن عساكر عن يحيى بن جعفر مرسلا).

وخرج عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا يتمشيان يوما، فصدم يحيى امرأة فقال له عيسى: يا ابن خالة لقد أصبت اليوم خطيئة ما أظن أنه يغفر لك أبدا، قال يحيى: وما هى يا ابن خالة؟ قال عيسى: امرأة صدمتها، قال يحيى: والله ما شعرت بها، قال عيسى بن مريم: سبحان

الله بدنك معى فأين روحك؟ قال يحيى: معلق بالعرش (رواه أبو نعيم الحافظ الأصبهانى عن أبي سليمان).

وخرج والدى يحيى يوما فى طلبه فوجداه عند بحيرة الأردن فلما اجتمعا به أبكاهما بكاء شديدا لما هو فيه من العبادة والخوف من الله عز وجل.

وفقد زكريا عليه السلام ابنه يحيى ثلاثة أيام فخرج يلتمسه فى البرية فإذا هو قد احتفر قبرا وأقام فيه يبكى على نفسه فقال:

- يا بنى أنا أطلبك من ثلاثة أيام وأنت فى قبر قد احتفرته قائم تبكى فيه؟

فقال يحيى:

- يا أبت ألست أنت أخبرتنى أن بين الجنة والنار مفازة لا تقطع إلا بدموع البكائين؟

فقال له زكريا:

- ابك يا بنى.

فبكيا جميعا. (رواه ابن المبارك).

وقيل: إنه كان كثير البكاء حتى أثر البكاء فى خديه من كثرة دموعه. وعشق يحيى بن زكريا العبادة فى الهيكل حتى أصبح منهوك الجسم نحيل الظل متضمر - يقال: تضمر وجهه إذا انضمت جلدته هزالاً - الوجه معروق العظام - عرق العظم إذا أكل ما عليه من اللحم - واشتهر بالعلم حتى أحصى مسائل التوراة واستجلى غوامضها وأحاط بأصولها وفروعها وأضحى فيصل أحكامها وقاضى معقولها.

ونزل بنفوس بنى اسرائيل هم وحزن ويأس وحاق بهم ضيق فقد انقضى زمن طويل لم يظهر فيهم نبى يخرجهم من الظلمات إلى النور.

فأرسل الله عز وجل يحيى بن زكريا عليه السلام بخمس كلمات.

وكان عيسى بن مريم عليه السلام - نبىء صغيرا فساح ثم دخل الشام

يدعو الناس إلى عبادة الله وحده وكان ينتقل من بلد إلى بلد - اجتمع بابن خالته يحيى فعمد يحيى عليه السلام.

وبعث عيسى عليه السلام يحيى بن زكريا عليه السلام فى اثنى عشر من الحواريين يعلمون الناس فنهوهم عن نكاح بنات الأخ.

وكان المسيح عليه السلام يلبس الصوف وكان يحيى يلبس الوبر ولم يكن لواحد منهما دينار ولا درهم ولا عبد ولا أمة ولا مأوى يأويان إليه أين ما جنهما الليل أويا فلما أرادا أن يتفرقا قال يحيى لعيسى عليه السلام: - أوصنى.

قال المسيح عليه السلام:- لا تغضب.

قال يحيى عليه السلام:- لا أستطيع إلا أن اغضب.

قال ابن مريم عليه السلام: - لا تقتن مالا.

قال يحيى بن زكريا عليهما السلام:- أما هذه فعسى.

قال رسول الله ﷺ:

- «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن وكاد أن يبطىء».

فقال له عيسى عليه السلام:

- إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن فإما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن؟

فقال - يحيى بن زكريا -:

- يا أخى إنى أخشى أن سبقتنى أن أعذب أو يخسف بى.

فجمع يحيى بنى إسرائيل فى بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرف - العلو والمكان العالى - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

- إن الله عز وجل أمرنى بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن وأولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فإن مثل ذلك

مثل من اشترى عبدا من خالص ماله بورق ـ الورق: الدراهم المضروبة ـ أو ذهب فجعل يعمل ويؤدى غلته ـ أجره وكسبه ـ إلى غير سيده فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وآمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه قبل عبده ما لم يلتفت فإذا صليتم فلا تلتفتوا، وآمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وآمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال: هل لكم أن أفتدى نفسى منكم، فجعل يفتدى نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه، وآمركم بذكر الله عز وجل كثيرا فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا فى أثره فأتى حصنا حصينا فتحصن فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان فى ذكر الله عز وجل» (رواه الإمام أحمد عن الحارث الأشعرى).

وسأل يحيى بن زكريا عليهما السلام ربه فقال:

ـ رب اجعلنى ممن لا يقع الناس فيه.

فأوحى العزيز الحكيم إليه:

ـ يا يحيى هذا شىء لم أستخلصه لنفسى« فكيف أفعله بك؟ اقرأ فى المحكم تجد فيه ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾[1] وقالوا ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾[2] وقالوا وقالوا.

فقال يحيى بن زكريا عليهما السلام:ـ يا رب اغفر لى فإنى لأعود.

وخرج أبو القاسم ، على أصحابه يوما وهم يتذاكرون الأنبياء فقال قائل:ـ موسى كليم الله.

وقال قائل: عيسى روح الله وكلمته.

---

(١) التوبة: ٣٠. (٢) المائدة: ٦٤.

وقال قائل: إبراهيم خليل الله.

فقال رسول الله ﷺ: « **أين الشهيد ابن الشهيد؟ يلبس الوبر ويأكل الشجر مخافة الذنب** » - يريد يحيى بن زكريا -(رواه ابن عساكر عن ابن شهاب).

وكان يحيى بن زكريا يقول: أهل الجنة لا ينامون للذة ما هم فيه من النعيم، فكذا ينبغى للصدقين أن لا يناموا لما فى قلوبهم من نعيم المحبة لله عز وجل.

وظهر إبليس الرجيم ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى يحيى عليه السلام عدة معاليق على إبليس من كل شىء فقال يحيى: يا إبليس ما هذه المعاليق؟

فقال زعيم أهل النار: هذه الشهوات التى أصيب بها ابن آدم.

فتساءل يحيى عليه السلام: هل لى فيها شىء؟

قال إبليس اللعين: ربما شبعت فشغلناك عن الصلاة وعن الذكر.

فقال يحيى عليه السلام: لا فإن لله على أن لا أملأ بطنى من طعام

فقال زعيم أهل النار فى ندم: ولله على أن لا أنصح مسلما أبدا.

وعرف يحيى بن زكريا عليهما السلام بين الناس أنه جرئ فى الحق شديد على الباطل، لا يخشى فى الله لومة لائم، ولا صولة عات ظالم، وكان هيرودس حاكم فلسطين يكرم يحيى بن زكريا عليهما السلام ويدنى مجلسه ويستشيره فى أمره ولا يقطع أمرا دونه، وقد أحب هيرودس هيروديا بنت أخيه إذ كانت رائعة الجمال وقد عزم على الزواج منها فسأل يحيى بن زكريا عليهما السلام عن ذلك فقال:

- لست أرضاها لك فإن ذاك زواج باطل لا تقره الشريعة وتأباه روح الكتاب وإنى لا أعترف به.

وشاع فى المدينة وفى القصور وفى أماكن اللهو ومواطن العبادة ما جهر به يحيى عليه السلام، وبلغ ذلك أم هيروديا فحقدت على يحيى عليه السلام وأضمرت له العداوة وأوغرت صدر ابنتها على يحيى بن زكريا فلما تقدم هيرودس للزواج منها طلبت منه رأس يحيى بن زكريا فى طست من فضة هدية فرفض فى بادئ الأمر، ولما رأى إصرار هيروديا انكمش فى عرشه ونزل به هم ثقيل وقال لحراسه فى صوت خفيض: أعطوها ما طلبت.

فخرج الحراس.. ثم أقبلوا يحملون طسا من فضة عليه رأس يحيى ابن زكريا عليهما السلام والرأس يتكلم حتى وضع بين يدى هيرودس:

ـ لا تحل لك.

فنزلت لعنة الله على هيروديا وهيرودس وبنى إسرائيل **﴿إن الذين يكفرون بالله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم * أولئك الذى حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين﴾** سورة آل عمران الآية: ٢١ـ ٢٢.

عيسى بن مريم عليه السلام

رأى عيسى بن مريم عليه السلام الناس فى السوق رائحين وغادين فاعتلى مكانا عاليا وراح يقول:

- يا بنى اسرائيل، ،يا بنى إسرائيل

فأقبل الناس، واجتمعوا إليه يصغون، فقال المسيح عليه السلام:

- يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم، إنه من يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة، ومأواه النار.

فارتفعت أصوات الناس تتساءل:

- من أنت؟

قال روح الله وكلمته:

- إنى رسول الله إليكم:

فقالوا: وما أدرانا أنك رسول الله؟ هل لديك آية؟

قال عيسى بن مريم عليه السلام:

- **﴿إنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمة والأبرص وأحى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم﴾**[سورة آل عمران الآية: ٤٩].

وأحيا عيسى عليه السلام ثلاثة أنفس: العاذر وكان صديقا لعيسى عليه السلام، وابن العجوز، وابنة العاشر، قال بنو إسرائيل:

- إنك تحيى من كل موته قريبا فلعلهم لم يموتوا، فأصابتهم سكتة، فأحى لنا سام بن نوح.

فقال لهم عيسى عليه السلام:

ـ دلونى على قبره.

فخرج وخرج بنو إسرائيل معه حتى انتهوا إلى قبره، فدعا روح الله وكلمته عز وجل فخرج سام بن نوح، وقد شاب رأسه، فقال عيسى عليه السلام:

ـ كيف شاب رأسك ولم يكن فى زمانكم شيب؟

قال سام بن نوح:

ـ يا روح الله إنك دعوتنى فسمعت صوتا يقول: أجب روح الله، فظننت أن القيامة قد قامت، فمن هول ذلك شاب رأسى.

فسأله عيسى عليه السلام عن النزع، فقال سام بن نوح:

ـ يا روح الله إن مرارة النزع لم تذهب من حنجرتى ـ نزع الروح من الجسد ـ

وكان من وقت موت سام بن نوح حتى ذلك اليوم أربعة آلاف سنة، قال سام بن نوح لبنى إسرائيل:

ـ صدقوه فإنه نبى.

فآمن بروح الله وكلمته بعض بنى إسرائيل، وكذبه كثير منهم وقالوا:

ـ هذا سحر.

لقد علم الله المسيح عليه السلام التوراة والانجيل، فأخذ يدعو الناس إلى عبادة الله وحده بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان ينتقل من قرية إلى قرية، ومن مدينة إلى مدينة.. فعرفه الناس فى فلسطين وفيما جاورها من البلاد، وكان يقول:

ـ العمى يبصرون، والمرضى يشفون، والعرج يمشون بإذن الله.

وكان يمسح على الأعمى فيبصر، وعلى المريض فيذهب عنه المرض، ويدعو للأعرج فيشفيه الله

وكان يقول للناس:

- تعاونوا، ساعدوا الفقير، أطعموا الجوعان، لا تكنزوا الذهب والفضة، يكفى الواحد منكم ثوب واحد، وأعطوا الثوب الثانى للعريان، والعصا لمن يحتاج إليها.

والتف الحواريون حوله: يوحنا، ومتى، وفلبس، واندراوس، وسمعان، ولوقا، ومرقص، و. . . ، و. . كانوا يحفظون مواعظه ويبلغونها للناس، وكان عيسى عليه السلام يقول لتلاميذه من الحواريين:

- احذروا الناس، ستعذبون من أجلى، اصبروا، الناس كالذئاب وأنتم مثل الأغنام، والذئاب تطارد الأغنام وتنقض عليها، الرب يباركم ويدافع عنكم إذا طردكم الناس من مدينة فاذهبوا إلى أخرى، موتوا فى سبيل الله، الرب واحد، وأنا رسوله إليكم، اذهبوا إلى الناس، وانشروا السلام.

﴿قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾ سورة آل عمران الآية: ٤٨.

واقترب عيسى يوما من رجل أعمى، ومسح عينه، ودعا له ثم قال:

- اذهب إلى النهر، واغسل عينيك، والرب معك، يباركك

فغسل الأعمى عينيه، فإذا به يرى الدنيا، فرفرف قلبه من الفرح، وامتلأت عيناه بالدموع، فرجع يسأل عن روح الله وكلمته، فقابله بنو اسرائيل فقالوا:

- أهذا الذى كان أعمى؟ كيف أبصرت أيها الرجل؟ من رد بصرك؟

قال الرجل:

- انه عيسى. انه عيسى، أين هو؟

وصحب بنو إسرائيل الرجل إلى المعبد فوجدوا عيسى بن مريم عليه السلام يصلى، فلما فرغ من صلاته قال عيسى عليه السلام لبنى إسرائيل:

- لقد أبصر الذين لا يبصرون وآمنوا بالله، أما الذين يبصرون فقد أعمتهم الذنوب، فانهم لا يبصرون، ليس اللوم على من ولد أعمى، ولكن اللوم على من أعطاه الله عينين ثم لا يشكر الله على نعمته.

فقال بنو اسرائيل:

ـ كأنك تسخر منا يا عيسى؟

قال روح الله وكلمته:

ـ نعم أنا أسخر من الذين أعمتهم الخطايا

فالتفوا حوله، وهموا أن يضربوه، ولكن الحوارين أحاطوا بمعلم الخير، وصاحوا بأعلى أصواتهم:

ـ اياكم أن تضعوا أيديكم عليه

ففزع بنو اسرائيل وملأ الخوف قلوبهم، فوقفوا كالأصنام، وانصرف عيسى عليه السلام ثم تبعه الحواريون.

وطلب الحواريون من عيسى عليه السلام أن ينزل عليهم مائدة من السماء **﴿إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين * قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين * قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين * قال الله إني منزلها عليكم﴾** [سورة المائدة الآية: ١١٢ـ١١٥]

فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة، حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم

قال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ نزلت المائدة من السماء عليها خبز ولحم وأمروا أن لا يخونوا ولا يرفعوا لغد، فخانوا وادخروا فمسخوا قردة وخنازير.

وبينما كان عيسى عليه السلام يصلي على رأس جبل أتاه إبليس اللعين فقال:

ـ أنت الذى تزعم أن كل شيء بقضاء وقدر؟

قال المسيح عليه السلام: نعم.

قال ابليس الرجيم: فاصعد قمة الجبل وارم بنفسك منه وقل: قدر على - فانظر هل تعيش أم لا -؟

فقال روح الله وكلمته: يا لعين.. الله يختبر العباد وليس العباد يختبرون الله عز وجل.

ووشى اليهود وأوغروا صدر ملك الروم فكتب هيردوس:

- ما هذا الذى يحدث فى فلسطين؟ سمعنا أن عندكم رجلا اسمه المسيح عيسى، يدعى أنه رسول من عند الرب، ويدعو إلى عبادة إله واحد، إننا نخاف عليك وعلى فلسطين منه.

فرد هيردوس:

- اطمئن يا مولاى، فنحن له بالمرصاد، نطبق عليه، ونصلبه ونضع الشوك على رأسه

وأخبر العليم البصير عيسى بن مريم أنه خارج من الدنيا ورافعه إلى السماء، وبينما كان عيسى عليه السلام مع حوارييه أحس بأتباع هيرودس فطلب من أحد الحواريين ان يلقى عليه شبهه ويكون رفيقه فى الجنة، فرضى الحوارى، فألقى الله على هذا الشاب شبه عيسى عليه السلام حتى كأنه هو، وفتحت روزنة من سقف البيث، وأخذت عيسى عليه السلام سنة من النوم فرفع إلي السماء **﴿واذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى﴾** [سورة آل عمران الآية: ٥٥]

ولما رأى اليهود وجنود هيرودس ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى عليه السلام، فاستوثقوا منه وربطوه بالحبال، وبصقوا عليه، وألقوا عليه الشوك، وأتوابه الخشبة وصلبوه.

﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ [سورة النساء الآية: ١٥٧] وقوله تعالى **﴿وما قتلوه يقينا * بل رفعه الله إليه﴾** [سورة النساء الآية: ١٥٧، ١٥٨].

بعث الله عز وجل كل نبى من الأنبياء بمعجزة خرقت النواميس - القوانين -، فابراهيم عليه السلام لما أراد قومه أن يلقوه فى النار لم تحرقه النار، فالمعجزة ليست أن ينجو خليل الله من النار، فلو أراد العلى القدير أن ينجى خليله من النار ما مكن أهل بابل من إلقاء القبض عليه، وقالوا: لو أمسكنا به لأحرقناه، أو أنزل الله مطرا من السماء فيطفأ النار، ولكنهم سيقولون: لو لم ينزل المطر لحرقناه، ولكن أراد العزيز الحكيم أن تظل النار مشتعلة محرقة ويلقى فيها ابراهيم عليه السلام عيانا أمام الناس، وهنا يعطل قانون احراقها ﴿**قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم**﴾ [سورة الأنبياء الآية: ٦٩]

وكان الغالب فى زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فأيده الله بمعجزة العصا، فصارت حية تسعى تبتلع حبال وعصى السحرة، وفلقت البحر إلى جزأين وتعطلت قوانين الماء.

وأما عيسى عليه السلام فقد بعث فى زمن الطب وأصحاب العلم، فجاءهم بمعجزة إحياء الموتى ومداواة الأكمة والأبرص.

ولما بعث الله محمدا ﷺ أيده بمعجزة القرآن الذى يحمل أكثر من معجزة تحدى الله به العرب الفصحاء أولا، ثم تحدى به الانس والجن، فالقرآن معجزة عقلية خالدة، يستطيع كل ذى عقل أن يقول: محمد رسول الله وهذه معجزته وهى القرآن، فموسى عليه السلام كانت معجزته العصا ومنهجه التوراة، ومعجزة عيسى عليه السلام الطب ومنهجه الانجيل، ولكن رسول الله ﷺ معجزته هى عين منهجه ليظل محروسا بالمعجزة فى المنهج، وقد كلف الله عز وجل عباده بالمحافظة على التوراة والانجيل، أما القرآن فقال تبارك وتعالى ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ [سورة الحجر الآية: ٩]

وإذا كان الله عز وجل قد بعث الأنبياء عليهم السلام كل إلى قومه، فانه أرسل محمدا ﷺ الى الناس كافة بشيرا ونذيرا، قال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ إن الله تعالى فضلنى عن الأنبياء ـ أو قال أمتى على الأمم ـ بأربع: أرسلنى إلى الناس كافة، وجعل الأرض كلها لى ولأمتي طهورا ومسجدا فأينما أدرك رجلا من أمتى الصلاة فعنده مسجده وعنده طهوره، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحل لى الغنائم (رواه الطبرانى في الكبير، سعيد بن منصور في مسنده عن أبى أمامة، وروى الترمذي بعضه وقال: حسن صحيح)

وقال البشير النذير ﷺ:

ـ بعثت إلى الأحمر والأسود (رواه ابن سعد عن أبى جعفر مرسلا)

وقال خاتم الأنبياء ﷺ:

ـ ما من أحد يسمع بى من هذه الأمة ولا يهودي ونصرانى، فلا يؤمن بى إلا دخل النار (رواه الحاكم فى المستدرك عن عبد الله بن عباس)

ولقد لقى خاتم الأنبياء ﷺ أذى كثيرا من المشركين، قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ لعائشة بنت أبى بكر:

ـ لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذا عرضت نفسى على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبنى إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فاذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فاذا فيها جبريل فنادانى فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فنادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال: يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ـ جبلا مكة ـ، قلت: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا (أخرجه مسلم كتاب الجهاد والامام

أحمد عن عائشة)

وقال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ ما أوذى أحد مثل ما أوذيت فى الله(رواه أبو نعيم فى الحلية عن أنس)

وختم الله عز وجل بمحمد ﷺ أنبياءه **﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾** [سورة الأحزاب الآية: ٤٠]، قال المبعوث رحمة للعالمين ﷺ:

ـ إنما بعثت فاتحا وخاتما، وأعطيت جوامع الكلم وفواتحه، واختصر لى الحديث اختصارا فلا يهلكنكم المتهوكون ـ التهوك كالتهور، وهو الوقوع فى الأمر بغير روية ـ(رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن أبى قتادة مرسلا)

وقال السراج المنير ﷺ:

ـ أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر (رواه الدرامى وابن عساكر عن جابر)

وقال إمام الخير ﷺ:

ـ مثلى فى النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها وأجملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون: لو تم موضع هذه اللبنة، فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة (أخرجه مسلم كتاب الفضائل عن أبى سعيد، الترمذى والامام أحمد عن أبى هريرة)

وقد أخذ الله عز وجل الميثاق على الرسل بالايمان به فلما بلغ ﷺ أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، وكافة للناس وبشيرا، والتصديق له، والنصر له على من خالفه، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه، يقول الله تعالى لمحمد: **﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من**

كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلك اصرى﴾؟[سورة آل عمران الآية: ٨١]، أى ثقل ما حملتم من عهدى: قالوا: أأقررنا، قال: فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين، فأخذ الله ميثاق النبيين جميعا بالتصديق لهم، والنصر له ممن خالفه، وأدوا ذلك ما آمن بهم، وصدقهم أهل الكتابين ـ التوراة والانجيل ـ

وكان رسول الله ﷺ دعوة أبيه ابراهيم عليه السلام وبشرى عيسى عليه السلام ورؤيا أمه قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ:

ـ أنا دعوة ابراهيم وبشرى عيسى بن مريم، ورأت أمى حين وضعتنى خرج منها نور أضاء له قصور الشام (رواه أبو داود الطيالسى وابن سعد والامام أحمد والبغوى والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الدلائل عن أبى أمامة)

وقال تعالى **﴿واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد﴾** [سورة الصف الآية: ٦]

وأحمد اسم نبينا ﷺ قال الشافع المشفع ﷺ:

ـ إن لى عند ربى عز وجل عشرة أسماء: محمد وأحمد وأبو القاسم والفاتح والخاتم والماحى والعاقب والحاشر ويس وطه (رواه ابن عدى فى الكامل وابن عساكر عن أبى الفضل)

وقال إمام المرسلين ﷺ:ـ أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر الذى أحشر الناس على قدمى، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر، فإذا كان يوم القيامة كان لواء الحمد معى، وكنت إمام المرسلين، وصاحب شفاعتهم (رواه الطبرانى فى الكبير، سعيد بن منصور فى مسنده عن جابر)

وإذ كان الله عز وجل قد أنزل عليه القرآن فكان معجزته ومنهجه فانه بعث اليه جبريل ومعه البراق فأسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عرج به إلى السماء قال ﷺ:

ـ أوتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل يضع حافره عند منتهى طرفه، فلم نزايل ظهره أنا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس، ففتحت لى أبواب السماء ورأيت الجنة والنار (رواه الامام أحمد والحاكم فى المستدرك والضياء المقدسى عن حذيفة)

وقال صاحب الخلق العظيم ﷺ

ـ ليلة أسرى بى رأيت موسى وإذا هو رجل ـ لم يكن شديد الجعدة ولا شديد السبوطة ـ ضرب ـ ربع ـ بين الطويل والقصير ـ أحمر كأنما خرج من ديماس ـ بالكسر: السرب ويعنى من نضرته وكثرة ماء وجهه ـ، ورأيت ابراهيم وأنا أشبه ولده به، ثم أتيت باناءين فى أحدهما لبن وفى الآخر خمر فقيل لى: اشرب أيهما شئت، فأخذت اللبن فشربته، فقيل لى: أصبت الفطرة، أما انك لوشربت الخمر غوت أمتك (أخرجه مسلم كتاب الايمان باب الإسراء عن أبى هريرة)

وأعطى خاتم الأنبياء ﷺ خمسا لم يعطهن نبى قبله، قال امام آلخير ﷺ:

ـ أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى من الأنبياء: جعلت لى الأرض طهورا ومسجدا ولم يكن نبى من الأنبياء يصلى حتى يبلغ محرابه، وأعطيت الرعب مسيرة شهر يكون بينى وبين المشركين مسيرة شهر يقذف الرعب فى قلوبهم، وكان النبى بعث إلي خاصة قومه وبعثت أنا الى الجن والانس، وكانت الأنبياء يعزلون الخمس ـ من الغنائم ـ فتجئ النار فتأكله، وأمرت أن أقسمها فى فقراء أمتى ولم يبق نبى إلا أعطى سؤاله، وأخرت شفاعتى لأمتى (رواه البخارى عن ابن عباس)

وقد اصطفى العليم الخبير نبيه ﷺ، يقول أبو القاسم ﷺ:

ـ ان الله عز وجل اصطفى من ولد إبراهم اسماعيل، واصطفى من ولد اسماعييل بنى كنانة، واصطفى من بنى كنانة قريشا، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم (أخرجه الترمذى كتاب

المناقب عن واثلة بن الأسقع)

ويقول صاحب لواء الحمد ﷺ:

ـ أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة (أخرجه مسلم كتاب الايمان فى قول النبى ﷺ عن أنس)

المراجع

القرآن العظيم

الجامع لأحكام القرآن — القرطبى

تفسير القرآن العظيم — ابن كثير

فى ظلال القرآن — سيد قطب

صحيح مسلم

صحيح البخارى

الجامع الصحيح — الترمذى

قصص القرآن — محمد جاد المولى وآخرون

قصص من الأنبياء — ابن كثير

معجزة القرآن — محمد متولى الشعراوى

كنز العمال — الهندى

الانسان... والشيطان — عبد العزيز الشناوى

سنن الدرامى

البداية والنهاية — ابن كثير

تاريخ الأمم والملوك — الطبرى

الفهرس

الموضوع	الصفحة